الحياة الأبدية بدأت

تأليف: هارون يحيى

ترجمة:..... .....

مراجعة: مصطفى الستيتي

من كتب المؤلف أيضاً:

. الخلود وحقيقة القدر

. معرفة الله من خلال العقل

. القيم الأخلاقية في القرآن

المفاهيم الأساسية في القرآن

. هل خطر لك التفكير في الحقيقة؟

. المعجزة في النملة

. معجزة نظام المناعة

. الفهم الناقص للكفر

. فهم سريع للإيمان

. الموت، والبعث، وجهنم

الطبعة الأولى 2001

Good Word Book 2001

ص 5

إلى القارئ

السبب في تخصيص فصل خاص حول انهيار نظرية التطور هو أن هذه النظرية تشكل الأساس لجميع الفلسفات المادية، وبما أن نظرية داروين ترفض حقيقة الخلق وبالتالي وجود الله، فإن هذه النظرية كانت السبب، خلال 140 عاماً، في تخلي الكثير من الناس عن عقيدتهم أو الشك فيها. ولهذا فإن إثبات خداع هذه النظرية هو واجب هام جداً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين. ومن الضروري تقديم هذه الخدمة المهمة لكل فرد. ولابد أن يجد بعض قرائنا الفرصة لقراءة واحد من كتبنا. ولهذا فإننا نعتقد أنه من المناسب تخصيص فصل لتلخيص هذا الموضوع.

لقد تم توضيح المواضيع المتعلقة بالإيمان، في مؤلفات الكاتب جميعها، في ضوء الآيات القرآنية، والناس مدعوون ليتعلموا كلام الله ويعيشوا بموجبه. إن المواضيع المتعلقة بآيات الله جميعها قد جرى تفسيرها بطريقة لا تترك مجالاً للشك أو إشارات الاستفهام في ذهن القارئ.

إن الأسلوب الصادق والواضح والسلس الذي استخدم يضمن لكل فرد من

كل الأعمار ومن جميع الفئات الاجتماعية فهم هذه الكتب بسهولة. وهذا العرض الفعال والشفاف يجعل من الممكن قراءته خلال جلسة واحدة. وحتى أولئك الذين يرفضون الروحانيات بشدة فإنهم سيتأثرون بالحقائق الواردة في هذه الكتب، ولا يمكنهم دحض حقيقة مضمونها.

يمكن قراءة هذا الكتاب وأعمال الكاتب الأخرى جميعها بصورة فردية أو مناقشتها ضمن مجموعة. والقراء الذين هم على استعداد للإفادة من هذه الكتب سيجدون أن المناقشة مفيدة جداً، بمعنى أنهم سيستطيعون ربط أفكارهم وخبراتهم مع بعضها البعض. إضافة إلى ذلك فإن المساهمة في تقديم وقراءة هذه الكتب ستوفر خدمة عظيمة للدين، لأنها كتبت من أجل إرضاء الله تعالى فقط. إن جميع مؤلفات الكاتب مقنعة إلى حد بعيد. ولهذا السبب ومن أجل أولئك الذين يريدون إيصال الدين إلى الآخرين، فإن أنجع الطرق الفعالة هي تشجيعهم على قراءة هذه الكتب.

لن تجد في هذه الكتب، كما هو الحال في بعض الكتب الأخرى، آراء الكاتب الشخصية أو تفسيرات تستند إلى مصادر مشكوك فيها، أو أساليب لا تلتزم بالاحترام والتبجيل اللازم للمواضيع الدينية، ولا الحسابات اليائسة والمثيرة للشك والمتشائمة التي تسبب انحرافاً في القلب.

ص 6

لمحة عن الكاتب

ولد الكاتب في أنقرة عام 1956، وهو يقدم كتاباته باسم مستعار "هارون يحيى". درس الفنون في جامعة المعمارسنان والفلسفة في جامعة استانبول. ومنذ الثمانينيات قام بنشر العديد من الكتب حول مواضيع سياسية ودينية وعلمية. يعتبر هارون يحيى كاتباً معروفاً على نطاق واسع، كتب أعمالاً هامة تكشف كذب أصحاب نظرية التطور، وعدم صحة ادعاءاتهم والنقاط الفاصلة المظلمة بين نظرية داروين والأيديولوجيات الدموية.

يتألف ا سم الكاتب المستعار من اسمين "هارون" و"يحيى" تخليداً لذكرى النبيين المبجلين اللذين قاوما جاهدا في سبيل ترسيخ الإيمان الصحيح. إن خاتم النبي محمد صلى الله عليه وسلم المطبوع على أغلفة مؤلفات الكاتب له معنى رمزي يرتبط بمضمون هذه الكتب. ويمثل القرآن آخر كتاب سماوي وآخر وحي من الله تعالى، ونبيه محمد هو خاتم الأنبياء عليهم السلام. والهدف الرئيسي للكاتب هو دحض كل أساسيات عقائد الكفر، على ضوء القرآن والسنة، وقول "الكلمة الفصل" من أجل لجم أعداء الدين بصورة نهائية. إن خاتم النبي، الذي بلغ قمة الحكمة والكمال، قد استخدم كإشارة بهدف قول هذه الكلمة الأخيرة.

وتتركز جميع أعمال الكاتب حول هدف واحد هو إيصال رسالة القرآن للناس، وتشجيعهم بذلك على التفكير في المواضيع الأساسية المرتبطة بالإيمان، مثل وجود الله ووحدانيته، وبالتالي تذكيرهم ببعض المواضيع المهمة.

ويتمتع هارون يحيى بشعبية كبيرة بحيث أن كتبه تقرأ من قبل الكثيرين في عدد من البلدان مثل الهند، أمريكا، إنكلترا، إندونيسيا، بولونيا، إسبانيا والبرازيل. وقد ترجمت إلى العديد من اللغات مثل:

الانكليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، البرتغالية، الأوردية، العربية، الألبانية، الروسية، الصربية، الكرواتية، والبوسنية، وكذلك ترجمت إلى اللغة الأويغورية واللغة الإندونيسية. وقد لاقت هذه الأعمال نجاحاً واسعاً في جميع

أنحاء العالم، وكانت مفيدة لكثير من الناس الذين يؤمنون بالله وغيرهم ممن يريدون زيادة التبصر في إيمانهم. إن الحكمة والأسلوب المخلص والسهل المستخدم يعطي لهذه الكتب لمسة مميزة تنفذ مباشرة إلى أي شخص يقرؤها أو يتفحصها. ونظراً لحصانتها من الاعتراضات، فإن هذه الأعمال تتصف بمظاهر التأثير السريع والنتائج الحتمية التي لا يمكن دحضها. والتفسيرات التي وردت في الكتب لا يمكن إنكارها فهي صريحة وصادقة، كما تغني القارئ بأجوبة قاطعة. ومن غير المحتمل، بالنسبة لمن يقرأ هذه الكتب ويفكر فيها بجدية،أن يؤيد بصدق الفلسفة المادية والإلحاد أو أية أيديولوجية أو فلسفة منحرفة. وحتى في حال استمرارهم في تأييدها، فإن ذلك يدل فقط على إصرار عاطفي لأن هذه الكتب تدحض هذه الأيديولوجيات من أساسها. إن جميع حركات إنكار الخالق المعاصرة قد تم إحباطها من الناحية الأيديولوجية اليوم بفضل مجموعة المؤلفات التي كتبها هارون يحيى.

ص 7

لاشك بأن هذه الملامح كانت نتيجة للحكمة والتبصر التي منحها الله له. وبالتأكيد فإن الكاتب ليس لديه شعور بالفخر بنفسه، فهو لا يبتغي إلا تقديم المساعدة فقط لمن يبحث عن طريق الهداية إلى الله تعالى. وأكثر من ذلك فإن الكاتب لم يحقق أرباحاً مادية من كتبه. كما لم يحقق هو ولا أولئك العاملون لنشر هذه الكتب وتقديمها للقارئ، أية أرباح مادية هامشية، إنهم يقدمون هذه الخدمة من أجل إرضاء الله تعالى فحسب.

وإذا أخذت هذه الحقائق في الحسبان، فإن من يشجع الناس على قراءة هذه الكتب التي تفتح البصائر وترشد الناس لخدمة الله، فهم يقدمون خدمة لا تقدر بثمن.

وفي الوقت نفسه فإن نشر كتب تخلق إرباكاً في عقول الناس، وتقودهم إلى فوضى أيديولوجية، والتي يتضح عدم تأثيرها الدقيق في إزالة الشكوك من قلوب

الناس إنما هو عبارة عن مضيعة للوقت لا طائل من ورائها.

ص8

كما أنه من المستحيل بالنسبة للكتب التي ألفت بغاية التركيز على قدرة صاحبها على الكتابة أن يكون لها هذا التأثير العظيم مثل الكتب ذات الهدف السامي، وهو ملء قلوب الناس بالإيمان.

إن من يشك في ذلك يمكنه أن يرى فوراً أن الهدف الوحيد لكتب هارون يحيى هو إلحاق الهزيمة بالكفر وكذلك نشر القيم الأخلاقية للقرآن. إن ما قدمته هذه الكتب من نجاح وتأثير وصدق يبدو جليا لدى القارئ.

ولابد أن نتذكر نقطة أخرى مهمة، وهي أن السبب الرئيسي للعنف والصراع المستمر والمحن التي يمر بها المسلمون هو انتشار فكرة إفلاس الدين. وهذه الأمور يمكن أن تنتهي مع عودة الحيوية لهذا الجانب. وبالتأكد من أن كل فرد يعرف عن معجزات الخلق والأخلاق القرآنية بحيث يعيش الناس بموجبها. وبالنظر إلى وضع العالم اليوم الذي يقحم الناس في دوامة العنف والفساد والصراعات، فمن الواضح أنه لابد من تقديم هذه الخدمة بصورة أسرع وأكثر فاعلية قبل فوات الأوان.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن سلسلة كتب هارون يحيى قد اضطلعت بهذا الدور الرائد. و ستكون هذه الكتب، بمشيئة الله تعالى، الوسيلة التي من خلالها يستطيع الناس في القرن الواحد والعشرين الوصول إلى السلام والرفاه والعدل والسعادة التي وعد بها القرآن الكريم.

وتشمل أعمال الكاتب الكوارث التي سببتها نظرية داروين للإنسانية، مهاجمة الشيوعية في مكمنها، اليد الخفية في البوسنة، خدعة الإبادة الجماعية، خلف مشاهد الإرهاب، الورقة الكردية بيد إسرائيل، أخلاق القرآن هي الحل، خدعة التطور، الأمم البائدة، رجال أذكياء، النبي موسى عليه السلام، العصر الذهبي، الإعجاز الإلهي في الألوان، العظمة في كل مكان، حقيقة الحياة الدنيا،

معرفة الحقيقة، السحر الأسود في نظرية داروين، دين النظرية الداروينية، القرآن يضيء طريق العلم، الأصل الحقيقي للحياة، السلوك الواعي لدى الخلية، خلق الكون، معجزات القرآن الكريم، التصميم في الطبيعة، صور من التضحية بالذات، السلوك الذكي لدى الحيوانات، أيها الأطفال: لقد كذب داروين، نهاية نظرية داروين، التفكير العميق، لا تدافع عن الجهل.

كما تضم الأعمال الأخرى للكاتب مواضيع من القرآن الكريم: عبادة الله، هجر المجتمع الجاهلي، الجنة، علوم القرآن، فهرس القرآن، شخصية صفات المنافق في القرآن، أسرار النفاق، أسماء الله تعالى، الدعوة والحوار في القرآن، أجوبة من القرآن الكريم، جهنم والبعث بعد الموت، كفاح المرسلين، الشيطان: عدو الإنسان المبين،الشيطان، الكفر، دين الجهل، أنانية الشيطان، الدعاء في القرآن، أهمية الضمير في القرآن، يوم البعث، لا تنسَ، حكم الاستخفاف بالقرآن، شخصيات في المجتمع الجهلي، أهمية الصبر في القرآن، معلومات عامة من القرآن، الدين الحقّ، قبل أن تندم، هكذا قال أنبيائنا، رحمة المؤمنين، مخافة الله، كابوس الكفر، عودة النبي عيسى عليه السلام، النواحي الجمالية للحياة في القرآن، باقة من روائع خلق الله تعالى 1- 2- 3- 4، سر الاختبار، الحكمة الحقيقية في ضوء القرآن، صراع الدين مع الكفر، مدرسة يوسف، تحالف الخير، أهمية اتباع الكلمة الطيبة، لماذا تخدع نفسك؟ الإسلام: دين اليسر، التعصب والغلو في القرآن، توسّم الخير في كل شيء، كيف يفهم الأحمق القرآن؟ بعض أسرار القرآن، شجاعة المؤمنين، التفاؤل في القرآن، العدل والتسامح في القرآن.

المحتويات:

. مقدمة

. السر الكامن وراء المادة

. الخلود وحقيقة القدر

. الحياة الأبدية بدأت

. خاتمة

. خدعة نطرية التطور

. المصادر والمراجع

ص 9

مقدمة

ص 10

ماذا تعني كلمة "الأبدية" لك؟

نميل دائما لربط مفهوم الأبدية بأرقام ألف سنة، مليون سنة، أو بليون سنة. ويبدو أن مثل هذا المفهوم الزمني يشير إلى مدة لا تنتهي. وبصورة مشابهة فإن ما يثيره مفهوم "المسافة المطلقة" في العقل هو مسافات عظيمة مثل مائة أو ألف أو مليون سنة ضوئية. ومع ذلك، وحتى حين تحاول التفكير في أكبر رقم ممكن، فإنك تبقى محدوداً ضمن طاقتك العقلية: وإعطاء مثال يمكن أن يساهم في فهم أفضل لمدى "الأبدية" غير العادي: إذا قضى 1000.000,000,000,000 شخص حياتهم البالغة 1000.000,000,000,000 سنة دون أن يفعلوا شيئاً سوى تعداد الأرقام ليلاً ونهاراً بدون توقف فإنهم سيخفقون أيضاً في الوصول إلى الأبدية باعتبارها مفهوماً ليس له بداية ولا نهاية. وعلى أية حال فإن معرفة الله تعالى لهذا المفهوم "الذي لا ينتهي" وبالتالي لا يمكن حسابه إطلاقاً، قد انتهى الآن.. فالأبدية التي تبدو وكأنها مفهوم لا يمكن الوصول إليه بالنسبة لنا هي فعلياً مجرد لحظة واحدة في نظر الله تعالى.

ويقدم لك هذا الكتاب توضيحات لا سابق لها عن الخلود واللانهاية والأبدية، ويجعلك أمام حقيقة هامة وهي أن الحياة الأبدية قد بدأت. إن إدراك هذه الحقيقة سيجعلك تقدر الله سبحانه وتعالى وتقدر خلقه. ومرة أخرى، وفي الوقت نفسه فإنك ستجد الأجوبة الواضحة لبعض الأسئلة: أين الله؟ ما هو البعث؟ ما هي طبيعة الموت الحقيقية؟ هل هناك حياة لا تنتهي؟ ومتى سيحدث

كل هذا؟ ومع ذلك، وقبل البدء في هذه المواضيع لابد من معالجة بعض المفاهيم مثل "طبيعة المادة الحقيقية" و"الخلود" بالتفصيل من أجل فهم الموضوع الذي طرحناه بصورة أفضل.

ص 11

السر الكامن وراء المادة

تحذير

هذا الفصل الذي ستقرؤه يكشف عن أسرار حاسمة في حياتك. ولابد أن تقرأه بعناية وإمعان، لأنه يعالج بموضوعا يمكن أن يحدث تغييرات جذرية في نظرتك إلى العالم الخارجي ومفهوم الزمن والأبدية. إن موضوع هذا الفصل ليس وجهة نظر فقط، أو طريقة مختلفة أو فكرة تقليدية أو فلسفية: إنه حقيقة يعترف بها كل فرد، سواء أكان مؤمناً أم غير مؤمن، وقد أثبتها العلم اليوم.

ص 12

إن مفهوم "طبيعة المادة" هو مفهوم يمكن أن يغير نظرة الإنسان إلى الحياة، وفي الحقيقة يمكن أن يغير حياته كلها حالما يعرف جوهرها. ويرتبط هذا الموضوع مباشرة بمعنى حياتك، توقعاتك حول المستقبل، مثلك العليا، عواطفك، رغباتك، خططك، المفاهيم التي تقدرها والأشياء المادية التي تمتلكها.

إن مادة هذا الفصل "طبيعة المادة"، ليست موضوعاً يثار اليوم للمرة الأولى، فقد جرت مناقشة هذا المفهوم عبر تاريخ الإنسانية من قبل مفكرين وعلماء. وانقسم الناس، منذ البداية، إلى مجموعتين بخصوص هذا الموضوع، المجموعة الأولى المعروفة بالماديين الذين استندوا في فلسفاتهم وحياتهم إلى الوجود الأساسي للمادة وعاشوا وهم يخدعون أنفسهم. والمجموعة الأخرى تصرفت بصدق، وبما

أنها لا تخاف من التفكير بعمق فقد عاشت متمسكة بجوهر الأشياء التي تعرضت لها والمعنى العميق الذي ينطوي وراءها. وعلى أية حال فإن التقدم الحاصل في العلم والتكنولوجيا في عصرنا هذا قد أنهى أخيراً هذا الجدل بإثبات . لا يقبل الشك . الحقيقة البديهية. بأن المادة ليس لها وجود حقيقي.

وتأتي أهمية الموضوع من انعكاسه على حياة الإنسان كلها. فلِكل فرد فترة حياة محدودة، وكل واحد خاضع لاختبار الله خلال هذه الفترة. وكل فرد سيلقى جزاءه بحزم حسب المسار الذي يختار اتباعه والأساليب التي يظهر بها في هذا العالم والسلوك الذي ينتهجه، فإن حياته الأبدية تصاغ حسب ما يستحق. وهذا يعني أنه خلال حياته التي لا تنتهي سيكافأ على الحياة التي اختارها في الدنيا، ولن يحظى أبداً بفرصة أخرى لإصلاح أخطائه.

ومن خلال وجهة النظر هذه يصبح من الأسهل فهم قيمة حياة الناس على الأرض. ومن هنا تأتي أهمية الموضوع الذي يعالجه هذا الكتاب. و بما أن كل فرد له فترة اختبار قصيرة وسيكافأ أو يعاقب على أعماله في حياته الآخرة التي لا تنتهي، فمن واجبه حتماً قضاء هذه الفترة في أفضل الطرق حكمة. وإذا أخفق في فعل ذلك فلن ينفعه أشد الندم.

ص13

والغاية من هذا الكتاب هي مساعدة الإنسان قبل بلوغه مرحلة الندم، دون أن يجد الفرصة للتكفير عن "ذلك اليوم" عندما يلقى الإنسان خالقه (وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادَى كَما خَلَقْناكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ) [سورة الأنعام: 94].

ص 14

ولهذا فقد تمت معالجة موضوع طبيعة المادة لأول مرة من منظور علمي. وكما بينا من قبل، فإن المواضيع الواردة هنا ليست بالتأكيد مسألة رأي أو فكرة فلسفية، وإنما هي حقائق مثبتة في العديد من المجالات العلمية. من ناحية ثانية فإن هذا الموضوع ليس معقداً أو لا يمكن فهمه أو صعباً كما هو شائع. إن أي

شخص لا يتوقف عن التفكير، ويتأمل في الحقيقة بصدق سوف يتوصل إلى نتيجة مهمة جداً بخصوص حياته عندما يدرك هذه الحقائق.

إن ما ستقرؤه الآن سيكون مفتاحاً للعديد من المواضيع التي لم تتمكن من حلها حتى الآن أو فهمها بصورة تامة، وسيكون لديك فهمٌ أفضل للمفاهيم مثل الجنة والنار وما يتبعها بصورة عميقة وواقعية وذلك بالتسليم بمعنى الحياة.

السؤال الذي نوقش طويلاً:

ما هي الطبيعة الحقيقية للمادة؟

إن من يتأمل الكون الذي يقطنه بوعي وحكمة، وكذلك المجرات والكواكب والتوازن فيما بينها، والطاقة الموجودة في تركيب الذرة، والنظام الذي يصادفه في كل جزء من الكون، وأنواع الأحياء التي لا تحصى من حوله وطريقة حياتها وسماتها المدهشة، وأخيراً جسمه، يدرك على الفور أن هناك شيئاً غير عادي. وسيفهم حالاً بأن هذا النظام الرائع والأشياء الدقيقة حوله لا يمكن أن تُوجد بنفسها ولابد من وجود خالق لها. والسؤال الذي يجب أن نجيب عليه هو: "من الذي خلق كل هذه الأشياء؟".

من الواضح أن "حقيقة الخلق" التي تفسر نفسها في كل مجال من الكون لا يمكن أن تكون حصيلة الكون نفسه. فمثلاً الطاووس بألوانه وتصميمه الذي ينطوي على فن لا يضاهى، لا يمكن أن يكون قد خلق نفسه. إن المعادلات الكونية الدقيقة لا يمكن أن تكون قد خلقت أو نظمت نفسها. وكذلك لا يمكن أن تكون النباتات والإنسان والباكتيريا والكريات الحمراء، ولا الفراشات قد خلقت نفسها. وأكثر من ذلك لا يمكن تصور احتمال أن كل هذه الكائنات يمكن أن تكون قد نشأت "بالمصادفة".

ص 15

من الواضح أن كل شيء نراه قد خُلق، ولكن أياً منها ليس هو "الخالق". إن الخالق مختلف، وأروع مما تراه عيوننا. لا نستطيع رؤيته ولكن كل ما خلقه

يكشف عن وجوده وصفاته.

هذه هي النقطة التي يعترض عليها أولئك الذين ينكرون وجود الله تعالى. لقد اشترط هؤلاء عدم الاعتقاد بوجود الله تعالى ما لم يروه بأعينهم. فهم يعتقدون أن هنالك كومة من المادة في كل مكان من الكون تنتشر إلى الأبد، ولا وجود لله في هذه الكومة. كما يعتقدون بأنهم حتى لو سافروا آلاف السنوات الضوئية فإنهم لن يصادفوا الله. ولهذا ينكرون وجوده. وبالتالي فإن هؤلاء الناس، الذي يتجاهلون حقيقة "الخالق" مجبرون على رفض حقيقة "الخلق" الواضحة في كل الكون، ويحاولون البرهان بأن الكون والأشياء الحية فيه لم تخلق. ومع ذلك، فمن المستحيل بالنسبة لهم فعل ذلك لأن كل زاوية من الكون تفيض بدلائل على وجود الله عز وجل.

الخطأ الأساسي لأولئك الذين ينكرون وجود الله هو خطأ مشترك بين الكثير من الناس الذين لا ينكرون في الحقيقة وجود الله ولكن لديهم فهما خاطئا عنه. إنهم لا ينكرون مؤشرات "الخلق" الموجودة في كل مكان، ولكن لديهم اعتقادات وهمية بخصوص "أين يوجد الله". معظم الناس يعتقدون أن الله موجود في السماء. إنهم يتصورون ضمناً وخطأً أن الله موجود خلف كوكب بعيد، ونادراً ما يتدخل في الأمور الدنيوية، أو ربما لا يتدخل أبداً. إنهم يتصورون أنه خلق الكون ثم تركه وحده للناس كي يقرروا مصائرهم بأنفسهم.

أيضاً هناك آخرون ممن سمعوا بالحقيقة المذكورة في القرآن بأن الله موجود "في كل مكان"، ولكنهم لا يستطيعون تصور ماذا يعني ذلك تماماً. وبحسب تفكيرهم الداخلي المشوه فإنهم يعتقدون بأن الله محيط بكل شيء كموجات المذياع أو كالغاز اللامرئي وغير الملموس.

وعلى أية حال فإن هذه الاعتقادات وغيرها المشوشة عن وجود الله (وربما ينكرون وجوده لهذا السبب) تستند كلها إلى خطأ شائع. إنهم يتحاملون دون سبب، وبالتالي فهم عرضة لآراء خاطئة عن الله تعالى. ما هذا التحامل؟

ص 16

إن هذا التحامل هو حول طبيعة المادة وصفاتها. فالإنسان يشترط كثيراً في فرضياته حول وجود المادة بحيث لا يفكر أبداً فيما إذا كانت موجودة أم لا، أو فيما إذا كانت ظلاً فقط. إن العلم الحديث يدحض هذا التحامل ويكشف عن حقيقة هامة جداً وواضحة. وسنوضح في الصفحات التالية هذه الحقيقة العظيمة التي يشير إليها القرآن الكريم.

نحن نعيش في كون يتجلى لنا من خلال إدراكنا

يقول ألبير كامو بأنك تستطيع إدراك وحساب الأحداث من خلال العلم، ولكنك لا تستطيع إدراك الكون. فهذه الشجرة، يمكنك أن تشعر بقسوتها، وهذا الماء يمكنك تذوقه. وذلك الهواء يشعرك بالبرودة، ولابد أن تدرك كل هذا[1]. إن جميع المعلومات الموجودة لدينا حول حقيقة العالم الذي نعيش فيه تنتقل إلينا عبر الحواس الخمس. والعالم الذي نعرفه يتألف مما تراه عيوننا، وتشعر به أيدينا، ونشمه بأنوفنا، ونتذوقه بألسنتنا، ونسمعه بآذاننا. إننا لا نفكر أبداً في أن العالم "الخارجي" يمكن أن يكون شيئاً مختلفاً عما تقدمه لنا حواسنا باعتبار أننا نعتمد فقط على هذه الحواس منذ ولادتنا.

وتشير الأبحاث الحديثة في مجالات علمية عديدة مختلفة إلى حقيقة مختلفة تماماً تشكل شكاً خطيراً بخصوص حواسنا والعالم الذي ندركه بواسطتها.

إن ما ندركه "كعالم خارجي" هو فقط نتيجة تحفيز العقل بواسطة الإشارات الكهربائية التي ترسلها إليه الأعضاء الحسية، وذلك حسب النتائج العلمية. فالتدرج المتعدد للألوان الذي تدركه بواسطة حس النظر، وشعور القساوة أو الليونة الذي ينتقل إليك بواسطة اللمس، والتذوق الذي تمارسه بلسانك، وإشارات الصوت المختلفة والأصوات التي تسمعها بأذنك، وأنواع الروائح التي تشمها، وعملك، وبيتك، وكل ما تملكه، وأسطر هذا الكتاب، وأكثر من ذلك أمك وأباك وأسرتك والعالم كله الذي كنت تراه دوماً وتعرفه واعتدت عليه خلال

حياتك، كل ذلك يتألف بصورة خالصة وبسيطة من إشارات كهربائية ترسلها أعضاء الحس لديك إلى الدماغ. ورغم أن هذا يبدو صعباً عند أول تحليل لكنه حقيقة علمية. أما وجهات نظر الفلاسفة المشهورين مثل برتراند راسل و ل. ويتجنسشتاين بهذا الخصوص فهي كالتالي:

ص 17

"مثلاً، هل حبة الليمون موجودة أم لا، وكيف وجدت. فهذا أمر لا يمكن السؤال أو التحري عنه. فحبة الليمون تتألف فقط من طعم نشعر به بلساننا، ورائحة نشمها بأنفنا ولون وشكل نحس به بالعين، هذه المظاهر هي التي يمكن فحصها وتقييمها. فالعلم لا يستطيع أبداً معرفة العالم المادي(2)".

ويفسر فريدريك فيستر الناحية التي توصل إليها العلم بخصوص هذا الموضوع كما يلي:

"إن عبارات بعض العلماء التي تقول بأن الإنسان هو صورة، وكل ما يقوم به هو مؤقت ومضلل، والكون عبارة عن ظل قد أثبتها العلم اليوم(3)".

ومن أجل توضيح هذا الموضوع بشكل جيد لننظر أولا في حواسنا التي تمدنا بالمعلومات عن العالم الخارجي.

ص: 18

كيف تعمل أعضاء حواسنا؟

قليل من الناس يفكرون في كيفية حدوث عملية الرؤية. كل واحد يجيب على السؤال "كيف نرى؟" بالقول "بعيوننا بالتأكيد". وعلى أية حال، عندما ننظر بالتفسير التقني لعملية الرؤية، فإن الأمر لا يبدو كذلك. إن عملية الرؤية تتحقق بالتدريج. تنتقل الحزم الضوئية (الفوتون) من الموضع إلى العين، وتمر من خلال العدسة الموجودة في العين الأمامية حيث تنكسر وتسقط مقلوبة على الشبكية في الجزء الخلفي من العين. وهنا يتحول الضوء المرتطم إلى إشارات كهربائية تنتقل بواسطة النترونات إلى بقعة صغيرة تدعى مركز الرؤية في الجزء

الخلفي من الدماغ. وعملية الرؤية تتم فعلياً في هذه البقعة الصغيرة في الجزء الخلفي من الدماغ **الشديد السواد و المعزول كلياً عن الضوء**.

والآن لنعد النظر في هذه العملية التي تبدو عادية وغير جديرة بالملاحظة.

عندما نقول "إننا نرى"، فإننا في الواقع نرى تأثيرات الموجات التي تصل إلى عيوننا، والتي شحنت في دماغنا بعد أن تحولت إلى إشارات كهربائية. وهذا يعني حين نقول "إننا نرى" **أنّنا فعلياً نرى حصيلة الإشارات الضوئية في عقلنا**. ولهذا فإن الرؤية عبارة عن عملية لا تنتهي في العين لأن العين هي عضو يعمل باعتباره وسيلة في عملية الرؤية.

ص 19

إن كل الصور التي نراها في حياتنا تتشكل في مركز الرؤية الذي يبلغ حجم حبة البندق، والذي يشكل سنتمترات مكعبة قليلة من حجم الدماغ. إن هذا الكتاب الذي تقرؤه الآن وشاشة حاسبك والمناظر الطبيعية اللامحدودة التي تراها عندما تحدق في الأفق والبحر الأملس، ومجموعة الناس المشاركين في مسابقة الجري توجد في هذا المجال الصغير. وهناك ناحية أخرى يجب أن نتذكرها وهي، كما ذكرنا سابقاً، **أن الدماغ معزول عن الضوء** وداخله معتم تماماً. ولا يوجد أي اتصال بين الدماغ والضوء نفسه.

والمكان المسمى مركز الرؤية هو مكان شديد السواد بحيث لا يصله الضوء إطلاقاً، وهو معتم لدرجة أنك لم تر مثله من قبل. ومع ذلك فإنك ترى عالماً متعدد الألوان في هذا الظلام الدامس. إن الطبيعة المتعددة الألوان، والمناظر الطبيعية المتوهجة، وجميع درجات اللون، اللون الأخضر وألوان الفاكهة، وأشكال الأزهار، وإشراقة الشمس، وجميع الناس في شارع مزدحم والسيارات تتحرك سريعاً مع حركة المرور، ومئات الثياب في مجمع تجاري وكل الأشياء الأخرى هي عبارة عن صور تشكلت في هذه البقعة المظلمة. وحتى تشكل الألوان في البقعة المظلمة لم يكتشف بعد. ويعلق كلاوس بودزنسكي بما يلي:

"لا تستطيع الصبغيات الإجابة عن السؤال الخاص: كيف تتلقى الشبكية العاملة في العين الضوء وكذلك الألوان وانتقال هذه المعلومات إلى الدماغ من خلال أعصاب البصر، وما هو نوع الردود الفيزيائية . والفيزيولوجية التي تتشكل في الدماغ(5)" .

يمكننا شرح هذه الحالة المثيرة بإعطاء مثال. لنفترض أن أمامنا شمعة تشتعل. نستطيع الجلوس مقابل الشمعة ونراقبها مطولاً. وفي جميع الأحوال فإن دماغنا خلال هذه الفترة ليس على اتصال مباشر مع ضوء الشمعة الأصلي. ورغم شعورنا بحرارة وضوء الشمعة فإن داخل دماغنا مظلم تماماً ودرجة حرارته لا تتغير إطلاقاً. إننا نراقب عالماً ملوناً ومشرقاً داخل دماغنا المظلم.

والشيء نفسه ينطبق على ضوء الشمس. إن انبهار عينيك بضوء الشمس أو شعورك بحرارتها وهي تحرق جلدك لا يغير الحقيقة بأن ذلك هو عبارة عن مجرد إدراك وأن مركز الرؤية في الدماغ هو مظلم تماماً.

ص 21

ويقدم ر. ل غريغوري التوضيح التالي بخصوص معجزات النظر . وهو ما نعتبره شيئاً مسلماً به:

"إن موضوع النظر مألوف جداً بالنسبة لنا بحيث نحتاج إلى قفزة خيال صغيرة حتى ندرك أن هناك مشكلات يجب حلها. ولكن فكر في هذا الأمر. إن لدينا صوراً مقلوبة في عيوننا، ونرى أشياء صلبة منفصلة في الفضاء المحيط. ومن خلال الأشكال الزائفة الموجودة على الشبكية نستطيع إدراك الأشياء الموجودة في العالم. **وهذا ليس بأقل من معجزة(6)**".

هذه الحالة تنطبق على جميع حواسنا. الصوت واللمس والذوق والشم، فكلها تدرك على شكل إشارات كهربائية في الدماغ.

وتعمل حاسة السمع بالطريقة نفسها التي تعمل بها حاسة النظر. تلتقط الأذن الخارجية الأصوات بواسطة الصيوان الذي ينقلها إلى الأذن الوسطى.

وتقوم الأذن الوسطى بنقل وتكثيف ترددات الصوت إلى الأذن الداخلية التي تقوم بنقلها إلى الدماغ. وكما هو الحال بالنسبة للعين فإن عملية السمع تتم أخيراً في مركز السمع بالدماغ.

وما هو صحيح بالنسبة للعين هو صحيح أيضاً بالنسبة للأذن، أي أن الدماغ معزول عن الصوت كما هو معزول عن الضوء. ولهذا ومهما كان مقدار الضجيج في الخارج، فإن داخل الدماغ ساكن تماماً. ومع ذلك فإن الدماغ يتلقى أدق الأصوات. إن هذه العملية دقيقة للغاية بحيث تستطيع أذن الشخص السليم سماع كل شيء بدون أية أصوات تشويش أو تدخل. وبواسطة دماغك، المعزول عن الصوت، وحيث الصمت المطبق، تستطيع الاستماع إلى سيمفونيات فرقة الأوركسترا، وسماع جميع الأصوات في مكان مزدحم، وتلقي كل الأصوات ضمن مجال تردد واسع، من صوت حفيف الورقة إلى أزيز طائرة الجت. ومع ذلك إذا تم قياس مستوى الصوت في دماغك بواسطة جهاز حساس في تلك اللحظة فيمكنك ملاحظة صمت مطبق يسود بداخله.

إن إدراكنا للروائح يعمل بالطريقة نفسها. فالجزيئات الطيارة من أشياء كالفانيليا أو الوردة تصل إلى المستقبلات الموجودة في الأشعار الدقيقة داخل جدار الأنف وتتفاعل معها. ينتقل هذا التفاعل إلى الدماغ على شكل إشارات كهربائية ويتم إدراكه على شكل رائحة. إن كان ما نشمه، سواء أكان رائحة طيبة أم كريهة، هو عبارة عن إدراك الدماغ لتفاعل الجزئيات الطيارة بعد تحولها إلى إشارات كهربائية. فأنت تدرك رائحة العطر والزهرة والطعام الذي تحبه والبحر والروائح الأخرى التي تحبها أو تكرهها، بواسطة دماغك. أما الجزييات نفسها فإنها لا تصل إلى الدماغ أبداً. وكما هو الحال بالنسبة للصوت والنظر، فإن ما يصل إلى الدماغ هو مجرد مجموعة من الإشارات الكهربائية. وبكلمة أخرى، فإن كل الروائح التي تفترض ـ منذ ولادتك ـ بأنها تعود إلى أشياء خارجية، ليست إلا إشارات كهربائية تمارسها من خلال أعضاء الحس. ويقول بركلي أيضاً:

ص 22

"في البداية كان الاعتقاد بأن الألوان والروائح الخ.. "موجودة فعلاً"
ولكن وجهات النظر هذه أهملت فيما بعد، وأصبحت معروفة على أنها موجودة فقط بالاعتماد على أحاسيسنا[7]" .

بصورة مشابهة هناك أربعة أنواع مختلفة من المستقبلات الكيميائية في الجزء الأمامي من لسان الإنسان. وهذه المستقبلات مرتبطة بأربعة أنواع للمذاق: المالح والحلو والحامض والمر. تقوم مستقبلات الذوق لدينا بتحويل الإدراك إلى إشارات كهربائية من خلال سلسلة من العمليات الكيميائية وتنقلها إلى الدماغ. ويتم إدراك هذه الإشارات على شكل طعم بواسطة الدماغ. إن الطعم الذي تشعر به عندما تأكل قطعة من الشوكولاته أو الفاكهة التي تحبها هو ترجمة للإشارات الكهربائية للدماغ. فأنت لا تستطيع الوصول إلى شيء مادي في العالم الخارجي، فلا تستطيع أن ترى أو تشم أو تتذوق الشوكولاته نفسها، فمثلاً إذا قطعت أعصاب الذوق الواصلة إلى الدماغ فإن طعم الأشياء التي تأكلها لن يصل إلى الدماغ وستفقد حاسة الذوق تماماً.

وهذه النقطة توصل إلى حقيقة أخرى:

لا يمكننا التأكد مطلقاً بأن ما نشعر به عندما نتذوق طعاماً وما يشعر به شخص آخر عندما يتذوق الطعام نفسه ، وما ندركه عندما نسمع صوتاً وما يدركه شخص آخر عندما يسمع الصوت نفسه هو الشعور والإدراك نفسه. ويقول لينكولن بارنيت **بأن أحداً لا يعرف فيما إذا كان الشخص الآخر يدرك اللون الأحمر أو يسمع النوطة C بالطريقة نفسها التي يدرك ويسمع بها هو**[8].

إننا نعلم فقط بقدر ارتباط أعضائنا الحسية بنا. ومن المستحيل بالنسبة لنا الوصول إلى الحقيقة الفيزيائية المحيطة بنا مباشرة. ومرى أخرى فإن العقل هو الذي يفهمها. ولا نستطيع أبداً الوصول إلى الأصل. ولهذا حتى عندما نتحدث

عن شيء واحد فإن عقول الآخرين يمكن أن تدرك شيئاً آخر. والسبب في ذلك هو أن ما يتم إدراكه يعتمد على المتلقي.

ص 23

والمنطق نفسه ينطبق على حاسة اللمس. فعندما نلمس شيئاً حسياً، فإن جميع المعلومات التي تساعدنا على تمييز العالم الخارجي والأشياء الموجودة فيه، تنتقل إلى الدماغ بواسطة أعصاب الحس الموجودة على الجلد. إن شعور اللمس يتشكل في دماغنا. وخلافاً للاعتقاد السائد، فإن المكان الذي ندرك فيه إحساس اللمس غير موجود في رؤوس أصابعنا أو على جلدنا، ولكنه موجود في مركز إدراك اللمس بالدماغ. وبما أن الدماغ هو الذي يقوم بتفسير التنبيهات الكهربائية الآتية له من الأشياء الحسية فإننا نستطيع تمييز هذه الأشياء بصورة مختلفة، فمثلاً يمكن أن تكون هذه الأشياء قاسية أو طرية، ساخنة أو باردة. فنحن نستمد كل هذه التفصيلات التي تساعدنا في تمييز شيء ما من هذه المنبهات. ويعلق الفيلسوف الشهير برتراند راسل حول هذه الموضوع بما يلي:

"أما بالنسبة لحاسة اللمس فعندما نضغط على الطاولة بأصابعنا فإن ذلك هو تشويش كهربائي على الإلكترونات والبروتونات الموجودة في رؤوس الأصابع نتجت، حسب الفيزياء الحديثة، عن تقارب الإلكترونات والبروتونات الموجودة في الطاولة. وإذا تم التشويش نفسه في رؤوس أصابعنا بأية طريقة أخرى فيجب أن يكون لدينا الإحساس رغم عدم وجود الطاولة(9)" .

إن إمكانية تعريف العالم الخارجي بصورة كاملة من خلال الحواس هي حقيقة علمية. ويعلق جورج بركلي في كتابه "بحث حول مبادئ المعرفة الإنسانية" ما يلي:

"أستطيع بواسطة النظر الحصول على الأفكار ا لمتعلقة بالضوء والألوان بدرجاتها المختلفة واختلافاتها. وأستطيع بواسطة اللمس إدراك ما هو قاسٍ وطري وحار وبارد ومقاوم.. وتزودني حاسة الشم بالروائح وحاسة الذوق بالطعم،

والسمع بنقل الأصوات.. وبما أن العديد منها تترافق مع بعضها البعض فيمكن جمعها باسم واحد وبالتالي اعتبارها شيئاً واحداً. وهكذا فمثلاً إن لوناً من الألوان وطعماً ورائحة وشكلاً وتماسكاً يلاحظ أنها تتماشى مع بعضها البعض تعتبر شيئاً واحداً له اسم تفاحة. ومجموعات الأفكار الأخرى تتألف من الحجر، الشجرة، الكتاب وما شابه ذلك من الأشياء الحسية(10)".

ولهذا عند معالجة المعلومات في مراكز الرؤية والصوت والرائحة والطعم و اللمس، فإن دماغنا لا يواجه، خلال حياتنا، أصل المادة الموجودة في الخارج ولكنه يواجه الصورة التي تتشكل داخل دماغنا. في هذه المرحلة سنخدع بسبب افتراضنا أن هذه الصور هي أمثلة على المادة الحقيقية الخارجية.

ص: 24

العالم الخارجي الذي يتكون داخل أدمغتنا

من خلال الحقائق الفيزيائية التي جرى وصفها حتى الآن يمكننا استنتاج ما يلي: كل ما نراه ونلمسه ونسمعه وندركه هو "مادة"، والعالم أو الكون ليس سوى إشارات كهربائية تتشكل في دماغنا. ولهذا فإن الشخص الذي يشرب عصير البرتقال فهو لا يواجه الشراب الفعلي، ولكنه يواجه إدراك الشراب في الدماغ. والشيء الذي يراه الناظر "كمشروب" يتألف فعلياً من انطباعات كهربائية للون ا لبرتقال وطعمه الحلو والسائل يجعله يشعر بعصير البرتقال في دماغه. ولا تختلف الحالة عندما تأكل الشوكولاته، فإن المعلومات الكهربائية الخاصة بشكل الشوكولاته وطعمها ورائحتها وقسوتها يتم إدراكها في العقل. فإذا تم فصل أعصاب النظر الواصلة للدماغ فجأة فإن صورة الشوكولاته ستختفي فجأة. إن فصل العصب الواصل من جهاز الحس في الأنف إلى الدماغ سيخرب حاسة الشم تماماً.

وببساطة، الشجرة التي تراها والأشياء التي تشمها والشوكولاته التي تتذوقها وعصير البرتقال الذي تشربه ليست إلا ترجمة الدماغ للإشارات الكهربائية.

هناك نقطة أخرى يجب النظر فيها، والتي يمكن أن تكون مضللة، وهي الإحساس بالمسافة. فمثلاً المسافة بينك وبين هذا الكتاب ليست إلا الشعور بالمكان الذي يتشكل في دماغك. والأشياء المادية التي تبدو بعيدة من وجهة نظر الإنسان تُوجد أيضاً في الدماغ فقط.

ص 25

فمثلاً إذا كان شخص ما يراقب النجوم في السماء التي يفترض بأنها بعيدة عنه ملايين السنين الضوئية. ومع ذلك فإن "ما يراه" في الواقع هي النجوم بداخله في مركز البصر لديه. وخلال قيامك برحلة، إذا نظرت إلى المدينة من الطائرة فإنك تظن أنها تبعد عنك عدة كيلو مترات. والواقع أن طول المدينة وعرضها هما في عقلك، بما في ذلك كل الناس الذين يقطنونها.

وتبرهن المعلومات العلمية اليوم أن الصورة التي ندركها تتشكل في دماغنا.

ولايزال هناك شيء مضلل آخر ولكنه عامل مهمّ جداً. عندما تقرأ هذه السطور، فأنت في الحقيقة، لست داخل الغرفة التي تفترض نفسك بداخلها، بل على العكس، فإن الغرفة هي التي بداخلك. وإن رؤيتك لجسمك تجعلك تفكر أنك في داخلها. **وعلى أي حال لابد أن تتذكر أن جسمك، أيضاً، هو صورة تشكلت داخل دماغك.** ويبين برتراند راسل ما يلي بخصوص هذا الموضوع:

"ما نستطيع قوله، على أساس الفيزياء نفسها، هو أننا حتى اليوم **ندعو جسمنا على أنه تركيب علمي متقن لا يماثل أية حقيقة فيزيائية**(12)".

ص 26

والحقيقة واضحة جداً إذا استطعنا أن نشعر بالعالم الخارجي من خلال أعضائنا الحسية فقط، فلن يكون أمامنا سبب ثابت لكي نعتبر جسمنا منفصلاً عن العالم الخارجي، أي التسليم بأن جسمنا له وجود منفصل.

إن جسمنا يبرز لنا بواسطة المنبهات (موجات) التي تصل إلى الدماغ. وهذه الموجات، مثل غيرها، تتحول إلى إحساسات أو شعور في الدماغ. وعلى سبيل

المثال فإن إحساس اللمس الذي يحدث عندما نلمس جسمنا بيدنا، والشعور بالوزن الذي تسببه قوة الجاذبية، وشعور الرؤية الذي تسببه أشعة الضوء المنعكسة من أجسامنا، ...الخ، كل ذلك يحسب على أنه "مجموعة من المشاعر" في الدماغ تجعلنا "نشعر" بجسمنا. وكما يتبين من هذه الحقائق العلمية، خلال حياتنا، فإننا لسنا معرضين لجسمنا الأصلي وإنما للموجات التي تصل عقلنا بخصوص جسمنا. وهذه الموجات تعرَّف بواسطة إدراكنا على أنها "جسمنا".

والشيء نفسه ينطبق على كل مفاهيمك الأخرى. فمثلاً عندما تفكر في أنك تسمع صوت التلفاز في الغرفة المجاورة، فإنك تقوم باختبار الصوت داخل دماغك فعلياً ولا تستطيع إثبات أن الغرفة موجودة إلى جانب غرفتك، ولا أنه صوت آتٍ من جهاز التلفاز في تلك الغرفة. إن كلاً من الصوت الذي تظن أنه آت من على بعد أمتار وحديث شخص يجلس بجوارك، يتم إدراكهما في مركز السمع بالدماغ الذي يبلغ عد سنتمترات مكعبة فقط. وبعيداً عن مركز الإدراك هذا فإنه لا يوجد أي مفهوم مثل يمين، أو يسار أو أمام أو خلف. وهذا يعني أن الصوت لا يأتي إليك من اليمين أو اليسار أو من الهواء **لأن الأصوات الآتية ليس لها اتجاه.**

والروائح التي تشمها تشبه ذلك أيضاً، فهي لا تصلك من مسافة بعيدة. إنك تفترض أن التأثير النهائي الذي يتشكل في مركز الشم لديك هو لروائح أشياء مادية في العالم الخارجي. وعلى أي حال، فكما تكون صورة الوردة في مركز ا لرؤية لديك، وكذلك رائحة الوردة تكون في مركز الشم، وليس هناك وردة أو رائحة لها علاقة بذلك في العالم الخارجي،

ص 27

والحقائق نفسها تنطبق على الحرارة أيضاً. ويوضح أحد الفلاسفة الأوائل في عصره وهو جورج بركلي من خلال المثال التالي أن الإحساس مثلاً بالبرودة و الحرارة، لا يمكن الحكم على وجوده من دون العقل:

"لنفترض أن إحدى يديك ساخنة والأخرى باردة، ووضَعْتَ كليهما مرة واحدة في وعاء من الماء متوسط الحرارة، ألن يكون الماء بارداً بالنسبة ليد وساخناً بالنسبة للأخرى؟(13)".

إن بركلي على حق في تحليله. ولو كانت الحرارة والبرودة موجودتين في المادة نفسها فإن كلتا اليدين ستشعران بالشيء نفسه.

إن العالم الخارجي الذي ندركه ليس إلا مجموعة من الإشارات الكهربائية التي تصل إلى دماغنا. ويقوم الدماغ، خلال الحياة، بمعالجة وتفسير هذه الإشارات، ونعيش دون التمييز بأننا أخطأنا في افتراض أن هذه الإشارات هي النسخ الأساسية للأشياء الموجودة في "العالم الخارجي". لقد خدعنا **لأننا لا نستطيع الوصول إلى الأشياء نفسها بواسطة حواسنا**. هذه النقطة مهمة جداً.

وأكثر من ذلك فإن دماغنا يفسر ويعيد المعاني إلى إشارات نفترض بأنها "العالم الخارجي". فمثلاً إذا تأملنا حاسة السمع نجد أن دماغنا بتحويل موجات السمع في "العالم الخارجي" إلى إيقاع. أي أن الموسيقى هي أيضاً إدراك خلقه الدماغ. وبالطريقة نفسها، عندما نرى الألوان فإن ما يصل إلى عيوننا هو ليس إلا **مجموعة من الإشارات الكهربائية ذات الأمواج بأطوال مختلفة**. ومرة أخرى يقوم الدماغ بتحويل هذه الإشارات إلى ألوان. فليس هناك ألوان في "العالم الخارجي". فلا الليمونة صفراء ولا السماء زرقاء ولا الأشجار خضراء. إنها كما هي عليه لأننا ندركها بهذا الشكل. ويعتمد العالم الخارجي بصورة تامة على الشخص المدرك.

ص 28

إن عمى الألوان هو دليل هام هنا، وحتى أقل العيوب في شبكية العين تسبب عمى الألوان. فبعض الناس يدركون اللون الأزرق على أنه أخضر، والبعض يدركون اللون الأحمر على أنه أزرق. في هذه المرحلة ليس من المهم فيما إذا كان الشيء المنظور ملوناً أم لا. وحسب ما يقوله المفكر الشهير بركلي:

"إذا كانت الأشياء نفسها حمراء وساخنة بالنسبة للبعض ومخالفة لذلك بالنسبة للآخرين، فإن هذا يعني أننا تحت تأثير الفهم الخاطئ، وأن الأشياء موجودة في دماغنا(14)".

وفي النهاية فإن السبب الذي يجعلنا نرى الأشياء ملونة هو ليس لأنها ملونة أو لأن لها وجوداً ماديا مستقلاً خارج ذواتنا، ولو وُجدت الألوان خارج ذاتنا فإن النقص المسمى عمى الألوان لن يوجد. وحقيقة الأمر هو أن جميع الصفات التي ننسبها للأشياء هي في داخلنا وليست في "العالم الخارجي".

"العالم الخارجي" المتكون اصطناعيا

إن العالم الوحيد الذي نعرفه هو العالم الموجود في عقلنا، الذي صُمم وسُجل وصار حياً هناك، وباختصار العالم الذي تشكل في عقلنا. وهذا هو العالم الوحيد الذي يمكننا التأكد منه.

لا يمكننا الإثبات مطلقاً بأن الأشياء المدركة في دماغنا لها ارتباطات مادية. فهذه المدركات يمكن فهمها على أنها آتية من مصدر "صناعي".

ويمكننا رؤية ذلك بالمثال التالي:

ص 29

أولاً لنتصور أننا أخذنا دماغك من جسمك وتركناه يعمل حياً بصورة صناعية في مكعب زجاجي. نضع إلى جانبه حاسباً يمكن أن يصدر جميع أنواع الإشارات الكهربائية. وبعدها نقوم بصنع وتسجيل كل الإشارات الكهربائية الخاصة بالمعلومات المتعلقة بالمحيط بصورة صناعية، كالصورة والصوت والرائحة والقساوة والنعومة والطعم وصورة الجسم. إن هذه التجربة في دماغك، الذي أخذناه من جسمك ستنفذ على قمة جبل مهجور. وأخيراً نربط الحاسب بالدماغ بواسطة أقطاب تعمل كالأعصاب وتقوم بإرسال المعلومات التي سجلت سابقاً إلى دماغك الموجود حالياً في مكان مرتفع فوق الغيوم. عندما يدرك دماغك (الذي يمثلك) هذه الإشارات فإنه سيرى ويمارس المحيط المطابق له. مثلاً

لنفترض أن كل التفاصيل التي تأتي إلى العقل حول مباراة لكرة القدم في الملعب قد تمت أو سجلت بطريقة يمكن إدراكها من خلال الأعضاء الحسية. ستشعر من خلال عقلك الموجود على قمة جبل مع جهاز التسجيل المربوط به، وكأنك تعيش في هذا المحيط الذي تواجد بصورة صناعية. ستظن أنك موجود في المباراة، وستقوم بالهتاف وستغضب أحياناً وتسر في أحيان أخرى. وأكثر من ذلك ستصطدم بالناس بسبب الازدحام وبالتالي ستشعر بوجودهم أيضاً.

وأكثر الأمور إثارة هي أن كل شيء سيكون حياً بحيث أنك لن تشك في وجود هذا المحيط أو في وجود جسمك. أو إذا أرسلنا إلى عقلك الروابط الكهربائية للحواس كالنظر والسمع واللمس التي تدركها وأنت تجلس إلى الطاولة فإن دماغك سيفكر في نفسه، سيرى نفسه رجل أعمال يجلس إلى مكتبه. وسيستمر هذا العالم الخيالي طالما أن التنبيه ما يزال يأتي من الحاسب. وسيكون من المستحيل أن تفهم بأنك مؤلف من العقل فقط. وذلك لأن ما نحتاجه لتشكيل عالم داخل دماغك ليس وجود عالم حقيقي بل المنبهات. ومن الممكن تماماً أن تأتي هذه المنبهات من مصدر صناعي. كجهاز التسجيل أو أي مصدر آخر. والتجارب التي تمت بهذا الخصوص تؤكد هذه الحقيقة.

لقد استطاع الدكتور وايت، في الولايات المتحدة الأمريكية من مستشفى كليفلاند، مع زملائه وجميع الخبراء في مجال الإلكترون، القيام بعمل بطولي وذلك بالإبقاء على ما يشبه الإنسان «Cyborg» حياً. إن الشيء الذي قام به الدكتور وايت ونجح فيه هو عزل دماغ قرد عن الجمجمة وقام بتغذيته بالأوكسجين والدم. واستطاع الدماغ، الذي كان موصولاً مع آلة قلب ورئتين صناعيتين، البقاء حياً لمدة خمس ساعات. وهذا الجهاز، المسمى الدماغ الإلكتروني Electro Encephalogram، الذي تم وصل الدماغ به، والمعروف باسم سجلات E.E.G استطاع جعل الأصوات المحيطة تسمع بواسطة الدماغ وكان لها رد فعل تجاهها[15].

ص 30

وكما رأينا، فإن من الممكن تماماً إدراك العالم الخارجي بواسطة تنبيه اصطناعي خارجي. والرموز التي تدركها بحواسك الخمس كافية لذلك. ولا يبقى شيء آخر من العالم الخارجي سوى هذه الرموز.

ومن السهل جداً بالفعل بالنسبة إلينا أن نُخدع بتصديق الأشياء التي ندركها على أنها حقيقية بدون أية روابط مادية. وكثيراً ما نعاني من هذا الشعور في أحلامنا، حيث نعاني من أحداث ونرى أشخاصاً وأشياء ومشاهد تبدو حقيقية تماماً. والحال فإنها كلها، بدون استثناء، مجرد إدراك حسي. ولا يوجد فرق أساسي بين عالم الحلم والحقيقة، فكلاهما يختبران في الدماغ.

من هو الشخص المدرك؟

ص 31

كما بينا حتى الآن، فليس هناك من شك بأن العالم الذي نفكر فيه ونعيش فيه ونعرف أنه "عالم خارجي" ندركه في دماغنا. من ناحية أخرى يبرز هنا سؤال ذو أهمية. هل الإرادة التي تتلقى كل هذه الإدراكات هي الدماغ نفسه؟

عندما نحلل الدماغ نرى أنه يتألف من جزيئات الليبيدات والبروتين، والتي هي موجودة أيضاً في أعضاء حية أخرى. وكما هو معروف تماماً فإن جوهر هذه البروتينات هي في الحقيقة الذرات. وهذا يعني أنه ضمن قطعة اللحم التي نسميها "الدماغ" لا يوجد شيء ليرى الصور، أو يشكل الوعي أو لخلق، أي ما نسميه "الأنا».

ويشير ر.ل. غريغوري إلى خطأ الناس بخصوص إدراك الصور في الدماغ:

"هناك ميل يجب تلافيه، وهو القول بأن العينين تحدثان صوراً في الدماغ. إن الصورة في الدماغ توحي بالحاجة إلى نوع من العين الداخلية لكي تراها، ولكن هذا يحتاج إلى عين أخرى لكي ترى صورتها.. وهكذا يكون هناك ارتداد لا ينتهي من العيون والصور. وهو أمر لا يقبله العقل(16)".

هذه هي النقطة التي تضع الناس الذين يؤمنون بالمادة على أنها وحدها الشيء الحقيقي في مأزق: إلى أي جزء تتبع "العين الداخلية" التي ترى وتفسر ما تراه ثم تستجيب؟

لقد ركز كارل بريبرام أيضاً على هذا السؤال المهم، حول من هو المدرك في عالم العلم والفلسفة:

"لقد بحث الفلاسفة منذ زمن الإغريق حول وجود "روح" في الآلة ووجود "إنسان صغير داخل الإنسان الصغير" وهكذا. إذن فأين "الأنا" ذلك الكيان الذي يستخدم عقله؟ ومن يقوم بالمعرفة الحقيقية؟ أو كما قال القديس الإيطالي فرانسيس: "إن ما نبحث عنه هو ما يبدولنا(17)".

والآن فكر فيما يلي: إن الكتاب الذي بين يديك، والغرفة التي أنت فيها، وباختصار جميع الصور التي أمامك تكون مرئية داخل دماغك. هل الذرات هي التي ترى هذه الصور؟ الذرات العمياء والصماء واللاواعية؟ كيف يمكن للذرات اللاحيّة واللاواعية أن تعي أو أن ترى؟ ولماذا تكون بعض الذرات لديها هذه الخاصة بينما الذرات الأخرى لا تتوفر فيها؟ هل عمليات التفكير والإدراك والتذكر، والسعادة و الحزن وكل الأشياء الأخرى تتألف من ردات فعل كهربائية وكيمائية بين الذرات؟ كلا، فالدماغ لا يمكن أن يكون الإرادة التي تقوم بإنجاز كل ذلك.

ص 32

لقد أشرنا في مواضع سابقة إلى أن جسمنا مشمول في مجموعة الإدراكات الحسية التي نسميها "العالم الخارجي". ولهذا، وبما أن دماغنا هو جزء من جسمنا فهو أيضاً جزء من مجموعة الإدراكات الحسية هذه. وبما أن الدماغ نفسه هو إدراك حسي، لذلك لا يمكن أن يكون الإرادة التي تتلقى الإدراكات الأخرى.

ويركز برتراند راسل في كتابه "أبجدية النسبية" حول هذا الموضوع قائلاً: "وبالطبع إذا كان تفسير المادة بصورة عامة على أنها مجموعة من الأحداث، فإن

ذلك يجب أن ينطبق أيضاً على العين والعصب البصري والدماغ[18]" .

من الواضح أن الكائن الذي يرى ويسمع ويحس ويشعر هو كائن من مادة غير عادية. لأن المادة لا تستطيع التفكير أو الحس أو أن تكون سعيدة أو حزينة. وليس من الممكن القيام بكل ذلك بالجسم وحده. ولذلك فهو كائن ليس مادة ولا صورة إنه "حي". وهذا الكائن مرتبط "بشاشة" أمامه مستخدماً صورة الجسد.

وتقديم مثال عن الأحلام سيوضح الموضوع أكثر. لنتصور (حسب ما ذكرناه حتى الآن) أننا نرى الحلم في عقلنا. ففي الحلم يكون لدينا خيال جسم وخيال ذراع وخيال عين وخيال دماغ. وإذا سئلنا، خلال حلمنا" أين ترى؟"، فإننا سنجيب "إنني أرى بدماغي". وإذا سئلنا أين دماغنا وما شكله، فإننا سنمسك برأسنا الخيالي الموجود على جسمنا الخيالي وبيدنا الخيالية ونقول: "إن دماغي هو عبارة عن كتلة من اللحم موجودة في رأسي ولا تزن أكثر من كيلوغرام واحد".

ومع ذلك، فإنه لا يوجد فعلياً أي دماغ للحديث عنه سوى رأس خيالي ودماغ خيالي. إن الناظر للصور ليس الدماغ الخيالي في الحلم ولكنه "كائن" أرفع من ذلك بكثير.

إننا نعلم بأنه لا يوجد تمييز فيزيائي بين مكان الحلم ومكان ما نسميه الحياة الحقيقية. ولهذا فعندما نُسأل في المكان الذي نسميه الحياة الحقيقية، السؤال الذي طرحناه سابقا: "أين ترى؟" فإن الجواب "في دماغي" ليس له معنى كما هو الحال في المثال السابق. وفي كلا الحالتين فإن الكيان الذي يرى ويدرك حسياً ليس هو الدماغ الذي هو عبارة عن كتلة من اللحم. ويدرك برجسون هذه الحقيقة فيقول في كتابه "المادة والذاكرة" بصورة موجزة أن "العالم مكون من صور، وهذه الصور تتواجد في وعينا، والدماغ هو واحد من هذه الصور(19)".

ص 33

ولهذا، وبما أن الدماغ هو جزء من العالم الخارجي، فلابد من وجود إرادة لإدراك كل هذه الصور. **وهذا الكائن هو "الروح".**

ويعبر الفيلسوف البريطاني الشهير ديفيد هيوم عن أفكاره بخصوص هذه الحقيقة بما يلي:

"من ناحيتي عندما أدخل بصورة جوهرية داخل ما أدعوه نفسي، فإنني أتعثر دوماً بواحد من الأشياء المدركة كالحرارة أو البرودة، الضوء أو الظل، الحب أو الكراهية، الألم أو السعادة. ولا أستطيع أن أمسك نفسي في أية مرة بدون إدراك، ولا أستطيع أن أرى أي شيء بدون إدراك(20)".

إن الكائن الحقيقي هو الروح. فالمادة تتألف من مدركات تشاهدها "الروح". إن المخلوقات العاقلة التي تكتب وتقرأ هذه الأسطر ليست كل واحدة منها كومة من الذرات والجزيئات وسلسلة من التفاعلات الكيميائية فيما بينها، إنها عبارة عن "الروح".

الكائن الحقيقي المطلق

كل هذه الحقائق تضعنا وجهاً لوجه أمام سؤال مهمّ جداً. إذا كان الشيء الذي نسلم به وهو العالم المادي يتألف فقط من مدركات تراها روحنا، إذن ما هو مصدر هذه المدركات؟

وبالإجابة على هذا السؤال لابد من أخذ ما يلي في الحسبان: المادة ليس لها وجود مستقل بحد ذاتها. وبما أن المادة هي عبارة عن إدراك، لذلك فهي شيء "اصطناعي". أي أن هذا الإدراك قد سببته قوى أخرى، وهذا يعني أنه قد خلق.

وأكثر من ذلك، فإن هذا الخلق يجب أن يكون مستمراً. ولو لم يكن هناك خلق مستمر وثابت فإن ما ندعوه المادة ستختفي وتضيع. ويمكن ربط ذلك بشاشة التلفاز حيث تُعرض عليها الصورة طالما أن إشارة البث مستمرة. إذن من الذي يجعل روحنا ترى النجوم والأرض والنباتات والناس وأجسامنا وكل الأشياء الأخرى التي نراها؟

ص 34

من الواضح جداً أن هناك خالقاً خلق كل العالم المادي، أي، مجمل الأشياء المدركة، وهو مستمر في خلقه بدون توقف. وبما أن الخالق ينشر مثل هذه

المخلوقات العظيمة فلابد أن لديه قوة وقدرة خالدة.

إن الخالق يعرفنا بنفسه. لقد أرسل لنا كتاباً، ومن خلال كتابه هذا وصف لنا نفسه والكون وسبب وجودنا.

الخالق هو الله تعالى، كتابه هو القرآن الكريم.

إن السّموات والأرض، أي الكون غير ثابت وجوده ممكن فقط لأن الله خلقه وسوف يختفي عندما ينهي الله الخلق، كل هذا توضحه الآية التالية: [إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَواتِ وَالأرضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً] [سورة فاطر: 41].

لا شك أن هذه الآية توضح أنّ الكون المادي هو تحت سيطرة الله تعالى، غير أن المعنى الآخر للآية يتمثل في أن العالم المادي الذي يراه الإنسان بما يحتويه من مظاهر لا يعلم حقيقته إلا الله عز وجلّ. ولو أراد الله أن يخفي عن أذهاننا مظاهر العالم فإن ما نراه كله يصبح عدما بالنسبة إلينا، ولا نستطيع أن نصل إلى شيء منه.

فحقيقة كوننا لا نستطيع أن ندرك العالم المادي ذاته هي في الواقع تجيب على السؤال الذي ما فتئ كثير من الناس يشغلون به عقولهم وهو : "أين يوجد الله".

ص 35

وكما ذكرنا في البداية، فإن بعض الناس ليس لديهم فهم حقيقي عن الله فهم يتصورونه على أنه كائن في مكان ما من السموات ولا يتدخل فعلياً في الشؤون الدنيوية. والأساس في هذا المنطق الخاطئ يأتي من فكرة أن الكون هو عبارة عن كتلة مادية وأن الله هو "خارج" عن هذا العالم المادي (تعالى الله عن ذلك)، في مكان بعيد جداً. وفي بعض الديانات الزائفة ينحصر الإيمان بالله في هذا الفهم.

من ناحية ثانية، وكما بينا حتى الآن، فإن المادة تتألف من أحاسيس فقط، أما العالم المادي فلا أحد منا بإمكانه أن يدركه، وبالتالي فنحن لا نعرف حقيقته

على وجه الدقة. وما نعرفه فقط هو خالق هذه المخلوقات، بمعنى الله تعالى. وفي هذا السياق يوضح الإمام الرباني، وهو أحد كبار العلماء المسلمين هذه الحقيقة بقوله: "إن الوجود المطلق الوحيد هو الله تعالى فقط، وكل ما سواه هو عبارة عن ظلال". وبالتالي فإنه من المستحيل إدراك الله بصورة منفصلة وخارج كتلة المادة بأكملها. فليس هناك شيء مثل المادة بمعنى الوجود. **فالله بالتأكيد موجود في كل مكان ومحيط بكل شيء**. إن هذه الحقيقة واضحة في القرآن على النحو الآتي: [اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ] [سورة البقرة: 255].

فالله ليس محدوداً بمكان وهو محيط بكل شيء كما جاء في آية أخرى:

[وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] [سورة البقرة: 115].

وبما أن الكائنات المادية كلها إدراك حسي فإنها لا تستطيع أن ترى الله، ولكن الله يرى المادة التي خلقها بكل أشكالها، وقد جاء ذلك في القرآن على النحو التالي: [لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ] [سورة الأنعام: 103].

وهذا يعني أننا لا نستطيع رؤية وجود الله بعيوننا، ولكن الله يعلم تماماً ما نخفيه وما نعلنه وما نراه ونفكر فيه. ولهذا السبب يقول الله تعالى: [أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ] [سورة يونس: 31]. إننا لا نستطيع أن نتفوه بأية كلمة دون علمه ولا حتى أن نتنفس. وبينما نحن نراقب هذه الإدراكات الحسية خلال سير حياتنا فإن أقرب كائن لنا ليس أياً من هذه الإحساسات، إنه الله نفسه. والآية التالية من القرآن تؤكد هذه الحقيقة: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ][سورة ق:16]. فعندما يفكر الإنسان أن جسمه مصنوع من المادة فقط، فهو لا يستطيع إدراك هذه الحقيقة المهمة.

فإذا افترض أن دماغه هو "ذاته"، عندئذ يصبح المكان الذي يقبل به كجزء خارجي بعيداً عنه مسافة 20- 30 سم. وحسب هذا الاستنتاج فلن يكون هناك شيء أقرب له من حبل الوريد. ومع ذلك فعندما يفهم أن لا شيء مثل المادة، وأن كل شيء هو خيال، والأفكار الغامضة مثل الخارج والداخل والقريب والبعيد، تفقد معناها. فالله محيط به وهو قريب من الله "بصورة لا متناهية".

ص 36

لقد أخبر الله أنه قريب من عباده بصورة لا متناهية في آيته: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ][سورةالبقرة:186]. وآية أخرى تتعلق بالحقيقة ذاتها: [فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ. وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ] [سورة الواقعة: 83 - 85]. وبالفعل فالشخص الذي يكون على فراش الموت، أو مريضاً في سريره يمكن أن يفكر، رغم خطئه الكبير، في تلك اللحظة في أن أقرب شخص يمكن أن يكون بالنسبة إليه هو طبيبه الجالس بجانبه، أمه التي تمسك بيده أو شخص عزيز عليه يعانقه. بيد أنه، وكما تقول الآية فإن الله أقرب له من أي شخص آخر. ومع ذلك فإن الناس يسيرون في حياتهم غير عابئين بهذه الحقيقة لأنهم لا يرونها بعيونهم.

ص 37

والنتيجة الوحيدة التي يمكن أن نستنتجها من مجموع الوقائع المقدمة هي أن الكائن الوحيد والحقيقي والمطلق هو "الله". ويستطيع الله بمعرفته أن يحيط الإنسان الذي هو ظل كائن مثله كمثل أي شيء آخر: [إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] [سورة طه: 98]. وفي آية أخرى من القرآن يحذر الله الناس من اللامبالاة: [أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ. أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ] [سورة: فصلت: 54]. أما الإنسان، بتعبير الإمام الرباني فهو مجرد ظل، وهو مفتقر في كل شيء إلى الله، ولا يمكن أن تكون له إرادة مستقلة: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ] [سورة الإنسان: 30]. آية أخرى تبين أن كل شيء

نقوم به يتم بمشيئة الله: [والله خلقكم وما تعملون] [سورة الصافات: 96]. وهذه الحقيقة نص عليها القرآن بعدة نقاط كما جاء في الآية التالية: [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى] [سورة الأنفال: 17]، حيث تؤكد على أنه لا يوجد عمل مستقل عن الله. وبما أن الإنسان هو ظل كائن فإنه لا يقوم بفعل الرمي. ولكن الله منح هذا ا لظل الكائن الشعور "بالذات" لأن الإنسان كائن واقع تحت سيطرة الله كلياً بصورة جلية.

هذه هي الحقيقة. ربما لا يريد الإنسان أن يسلم بذلك، أو هو يعتقد أنه كائن مستقل عن الله، ولكن هذا لا يغير شيئاً. وبالطبع فإن إنكاره الطائش هو، مرة أخرى، خاضع لقدرة الله ورغبته. وهذه الحقيقة وردت في القرآن على النحو التالي: [أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ولَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] [سورة آل عمران: 83].

الله يعلم كل شيء

ص 38

إن صفة الله "المحيط" تعني "يحيط بكل شيء". وبما أن الله يحيط بكل شيء، فإنه يعلم كل شيء يتعلق بحياة الناس. لقد خلق الله كل المشاعر كالألم والغضب والحب والسرور والحزن والسعادة، وبالتالي فإنه يعلم كل ما يتعلق بذلك جيداً. ولأنه يعلم، فإنه يخلق ويجعل عباده يمارسون هذه المشاعر حسب مشيئته. ولابد هنا من توضيح: إن الله بعيد كلياً عن هذه الآلام والعيوب. وصفة أخرى من صفات الله وردت في القرآن وهي "القدوس" وتعني "أنه لا يشوبه أي خطأ أو نسيان، وأنه بعيد عن النقصان أو أي عيب من العيوب". إن كل النواقص ترتبط بالإنسان.

من صفات الله المذكورة في القرآن "المتعالي" وتعني "أنه أرفع من أي عمل أو تصرف أو وضع، أو أي تفكير موجود لدى أي من المخلوقات". وهذا يعني أن الله يحيط بكل شيء، وهو في كل مكان ويعلم خفايا أسرار كل شيء. وهذه هي "المعرفة" في معناها الحقيقي. ولكي نستطيع تقدير عظمة الله وسيطرته لابد

لنا من استيعاب الموضوع بصورة أفضل! بما أن الله يعلم الآلام والأوجاع وكل مشاعرنا فإن هذا يجعلنا مرة أخرى نفهم الحقيقة بأن الله هو أقرب إلينا من حبل الوريد. إن الله يرى الإنسان أينما كان. وحتى عندما يكون وحده في مخبأ أو في مكان سري حيث لا يراه أحد، وحتى عندما يظن أنه يعمل في أمر سري للغاية فإن الله يراه. وقد جاء في القرآن بأن الله عالم بكل شيء: [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ] [سورة التوبة: 78]. والله يسمع كل الكلام: وحتى عندما يعتقد الإنسان أنه يهمس بسره خلف أبواب موصدة وجدران صلبة فإن الله يسمع. والله يعلم ما في القلب وما يخبئه عن أي شخص آخر، وكذلك الأشياء الموجودة في ضمير الإنسان والتي هو نفسه لا يدركها. وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقائق: [وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى] [سورة طه: 7].

إن كل ما نملكه هو في الحقيقة وهم...

ص 39

من الواضح أن المنطق والحقيقة العلمية تقول أن "العالم الخارجي" ليس بالحقيقة المادية، وهو عبارة عن مجموعة صور يقدمها الله لروحنا بصورة دائمة. ومع ذلك فإن الناس عادة لا يدخلون أو بالأحرى لا يريدون أن يدخلوا كل شيء ضمن مفهوم "العالم الخارجي". إذا فكرت في هذا الموضوع بصدق وشجاعة فإنك ستدرك أن بيتك وفرشك وسيارتك – ربما اشتريتها حديثاً – ومكتبك، والحلي، وحساب المصرف، وملابسك، وزوجتك وأطفالك ورفاقك وكل ما تملكه هو في الحقيقة، مشمول في هذا العالم الخارجي الخيالي المعروض لك. إن كل ما تراه وتسمعه وباختصار كل ما تدركه بحواسك الخمس من حولك هو جزء من "العالم الخارجي"، مثلاً: صوت مطربك المفضل، وقساوة الكرسي الذي تجلس عليه، ورائحة عطرك المفضل، والشمس التي تعطيك الدفء والزهرة ذات الألوان الجميلة والعصفور الذي يقف أمام نافذتك، وقارب السباق الذي يسير بخفة فوق الماء، وحديقتك الخصبة، والحاسب الذي

تستخدمه في عملك أو جهاز إرسالك الذي ينطوي على أحدث التقنيات الموجودة في العالم..

هذه هي الحقيقة، لأن العالم عبارة عن مجموعة من الصور التي خلقت لاختبار الإنسان. ويختبر الناس طول مدة حياتهم المحدودة بأشياء حسية ليست حقيقية. وهذه الأشياء الحسية تقدم له عمداً بصورة جميلة وجذابة، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة: [زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَئَابِ] [سورة آل عمران: 14].

إن معظم الناس يتخلون عن دينهم لأنهم استسلموا إلى أموالهم وثرواتهم الزائفة، وإلى أكوام الذهب والفضة والدولارات والحلي والحسابات المصرفية وبطاقات الائتمان والخزائن المليئة بالثياب وأحدث موديلات السيارات. أي استسلموا لجميع أشكال الرفاهية التي إما أنهم يملكونها أو يسعون لامتلاكها. إنهم يركزون فقط على هذا العالم وينسون الآخرة. إنهم مخدوعون بوجه الحياة "الجميل والمغري" في هذا العالم، ويفشلون في المحافظة على صلاتهم أو الإحسان للفقراء أو القيام بالعبادات التي تنقذهم في الآخرة. ويقولون بدل ذلك "لدي أعمال يجب أن أقوم بها" أو"لدي مبادئ"، أو "لدي مسؤوليات" أو "ليس لدي الوقت الكافي" أو "لدي مهام يجب أن أنهيها" أو "سأقوم بذلك فيما بعد"، ويصرفون حياتهم في الاهتمام بهذا العالم فقط. إن الآية التالية تعرف هذا المفهوم الخاطئ: [يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ] [سورة الروم: 7].

ص 40

إن الحقيقة التي نصفها في هذا الفصل، بأن كل شيء عبارة عن صورة، هي حقيقة غاية في الأهمية لأن مضمونها يجعل كل الرغبات والحواجز بدون معنى. إن التحقق من هذه الحقيقة يجعل من الواضح أن كل ما يراه الناس ذا قيمة، وما يملكونه أو يسعون لامتلاكه، الثروة التي يحصلون عليها جشعاً، الأولاد الذين

يتفاخرون بهم، والأزواج الذين يعتبرونهم أقرب الناس إليهم، والأصدقاء، وأجسادهم المترفة، وحالتهم الاجتماعية التي يعتبرونها شكلاً من التعالي، والمدارس التي درسوا فيها، والعطل التي قضوها، كل ذلك ليس إلا وهماً، ولهذا فإن كل الجهود والوقت الذي يقضونه إرضاءً للرغبات لا فائدة منها.

ص 41

وهذا هو السبب الذي يجعل بعض الناس يخدعون أنفسهم بغباء، عندما يتفاخرون بثروتهم أو بما يملكون مثل المنصب أو طائرة الهيليوكوبتر، أو المصانع أو الأموال أو المزارع أو الأراضي وكأنها موجودة فعلاً. هؤلاء الناس الأغنياء الذين يبحرون باليخت الذي يملكونه متفاخرين، ويعرضون سياراتهم ولا يتوقفون عن الحديث حول ثرواتهم، ويفترضون أن مراكزهم تجعلهم أعلى من غيرهم، يحاولون عرض أنفسهم بملابسهم ويبنون حياتهم على هذه العواطف والمنافسات، ويظنون أنهم ناجحون بسبب ذلك، عليهم أن يفكروا فعلاً في الوضع الذي سيجدون أنفسهم فيه إذا أدركوا أن النجاح ليس إلا وهماً.

إن هذه المشاهد تتكرر أيضاً في الأحلام. فهؤلاء الناس لديهم في أحلامهم أيضاً بيوت وسيارات سريعة وجواهر ثمينة جداً، وكميات من دولارات، وأحمال من الذهب والفضة. كما يرون أنفسهم في أحلامهم بمراكز رفيعة ويمتلكون المعامل وآلاف العمال، ولديهم السلطة ليحكموا الناس ويلبسوا الملابس التي يُعجبُ بها الآخرون. ولكن كما يسخر الحالم من التفاخر بالصور التي يراها في أحلامه، وكذلك الإنسان المستيقظ سيكون عرضة للسخرية لتفاخره بالصور التي يراها في هذا العالم، لأن ما يراه في أحلامه وفي هذا العالم ليس إلا مجرد صور في عقله. وهذه الحقيقة يجب التفكير فيها بالتأكيد. إن من يدركون هذه الحقيقة سيكونون من الناجحين كما نصت الآية التالية:

[قدَ جاءَكُم بصائرُ مِنَ رَبِكُم فَمَنْ أَبصرَ فلِنَفسِه ومن عَمِيَ فَعلَيها وما أنا عليكُم بحَفيظٍ] [سورة الأنعام: 104].

وبصورة مشابهة، فإن ردة فعل الناس على الأحداث التي تمر بهم في العالم

ستجعلهم يشعرون بالخجل عندما يعرفون الحقيقة. وإن أولئك الذين يحاربون بعضهم بشراسة ويهاجمون بعنف ويغشون ويرْشون ويزوّرون ويكذبون ويكنزون أموالهم بأنانية، ويؤذون الناس ويضربون ويلعنون الآخرين ويغضبون بعدوانية، ويملؤهم حب المناصب، ويحسدون ويتفاخرون، سيصابون بالخزي عندما يعلمون بأن كل ما فعلوه هو في عالم الأحلام.

ص 42

وبما أن الله هو الذي خلق الصور، فإن المالك الوحيد لكل شيء هو الله وحده. وهذه الحقيقة يؤكدها القرآن الكريم:

[وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً] [سورة النساء: 126].

ومن الحمق الكبير ترك الدين جانباً من أجل عواطف خيالية، وبالتالي يخسر الإنسان الحياة الأبدية. وأكثر من ذلك فإن ترك الدين يؤدي إلى محن دائمة. ويبين الله تعالى حالة الناس الذين يتنكرون للدين عمداً كما يلي:

[...وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [سورة هود: 16].

وكما جاء في الآية السابقة فإن عواطف هؤلاء الناس وجشعهم سيثبت بطلانها، وإن الأشياء التي يعتقدون بأنهم يملكونها ستضيع أمام هذه الحقيقة ولن تكون لها أية فائدة أو قيمة.

في هذه المرحلة لابد من فهم نقطة واحدة. لا يوجد ما يثبت بأن "الممتلكات والثروة التي تملكها والتي تبخل بإنفاقها، وأن الأولاد والأزواج والأصدقاء والمركز كلها ستزول إن عاجلاً أم آجلاً، ولهذا فليس لها أي معنى". ولكن "كل الممتلكات التي يبدو أنك تملكها هي غير موجودة، إنها مجرد أحلام تتألف من صور يريك الله إياها كي يمتحنك". وكما تلاحظ هناك فرق كبير بين العبارتين. إذا قبلت العبارة الأولى بمعناها الظاهري فإن الفرد يمكن أن يضل التفكير بأن كل هذه الأشياء والناس والصلات والعالم كلها موجودة فعلاً، رغم كونها موقتة. وربما يستمر في العمل بشراهة من أجل امتلاكها. ولكن إذا أخذت

العبارة الثانية التي تنص على الوضع الحقيقي للأمور، وهو أن كل شيء وهم، فإن أيّ فرد كان يبدي شراهة لهذه الأمور سيخجل من نفسه وسيعاني من خسارة لم يسبقها مثيل.

ورغم أن الإنسان لا يريد الاعتراف بذلك فوراً ويفضل خداع نفسه بافتراضه أن كل شيء يملكه موجود فعلاً، ولكنه في النتيجة سيموت وفي الحياة الآخرة سيبدو كل شيء جلياً عندما نُبعث من جديد. في ذلك اليوم [فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ] [سورة ق: 22] وسنرى كل شيء أكثر وضوحاً. وإذا قضينا حياتنا ونحن نركض وراء أهداف خيالية فسيأتي وقت نتمنى لو أننا لم نعش هذه الحياة ونقول: [يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه] [سورة الحاقة: 27- 29].

ص 43

من ناحية أخرى، ما يجب أن يفعله المرء العاقل هو محاولة فهم أكبر لحقيقة الكون في هذا العالم، وهو لايزال لديه متسع من الوقت. وإلا سيقضي كل حياته وهو يركض وراء أحلامه ويواجه العقوبة المؤلمة في النهاية. إن نهاية هؤلاء الناس الذين يركضون وراء أوهام (أو سراب) في هذا العالم وينسون خالقهم قد بينها القرآن الكريم، قال تعالى:

[وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] [سورة النور: 39].

ما هو الفرق بين عالم الأحلام والعالم الذي ندركه الآن؟

الحقيقة بالنسبة إلى بني البشر هي كل ما يمكن لمسه باليد ورؤيته بالعين. وقد ذكرنا من قبل أن أعضاءنا تضللنا، كما أشرنا بأننا لا نستطيع، علمياً، الوصول إلى حقيقة العالم الخارجي. إن كوْنَ الإدراكات الحسية الذي نسكنه يمكن تفسيره أيضاً باستخدام مقياس الحلم. تستطيع في أحلامك أيضاً أن تلمس بيدك وترى بعينك، ولكن في الحقيقة، ليس لديك يد ولا عين ولا حتى

أي شيء يمكن لمسه أو رؤيته. فليس هناك حقيقة مادية خارج عقلك لكي تحقق هذه الأشياء. إنك ببساطة مجرد كائن ضال.

ما هو الشيء الذي يفصل الحياة الحقيقية عن الأحلام ؟ هل هو أن الحياة الحقيقية مستمرة وأن الأحلام منفصلة، أو بالأحرى هناك علاقات مختلفة بين السبب والنتيجة في الأحلام؟ ليس هناك اختلافات أساسية في الجوهر.. وبالنتيجة كلا الحالتين من الحياة قد تحققت داخل الدماغ.

ص 44

إذا كان باستطاعتنا العيش بسهولة في عالم وهمي من خلال أحلامنا فإن الشيء نفسه يمكن تحقيقه في العالم الذي نعيش فيه ونحن مستيقظون، عندما نستيقظ من حلمنا لا نستطيع التأكد مطلقاً أننالم ندخل حلماً أطول يسمى "الحياة الحقيقية".

والسبب الذي يجعلنا نعتبر حلمنا مجرد هلوسة والعالم بأنه "حقيقي" ليس إلا نتيجة لعاداتنا وتحيزنا.

وهذا يشير إلى أننا يمكن أن نكون قد استيقظنا تماماً من هذه الحياة على الأرض، التي نعتقد أننا نعيشها الآن، تماماً كما استيقظنا من الحلم. هذه النقطة مهمة جداً وتحتاج بالتأكيد إلى التفكير فيها ملياً.

ولذلك من المفيد أن نفكر في مثال الأحلام بصورة أعمق. فالإنسان يستطيع ممارسة حوادث حقيقية جداً في الحلم. ويمكن أن يسقط الحالم من على الدرج أو يكسر ساقه أو يتعرض لحادث سيارة عنيف، أو يكبل تحت باص، أو يأكل كعكاً فيشبع. ويمكن ممارسة أحداث مشابهة لتلك التي نمارسها في حياتنا اليومية أثناء أحلامنا وبالإحساس المقنع نفسه في حقيقتها، كما يثير فينا الشعور نفسه. وهذا يدلنا على أن الإدراكات الحسية كالذوق والطعم واللمس، أو الشعور بالقساوة لا يمكن أن تكون دليلاً على الوجود الحقيقي للمادة، لأن هذه المشاعر نمارسها في أحلامنا بالحدة نفسها. وعلى أي حال فإن من يؤمنون بالمادة على أنها الوجود المطلق بصورة كلية لا يمكنهم استيعاب هذه الناحية.

ولكي يستطيعوا إثبات وجود المادة أعطوا أمثلة مشابهة لتلك الأمثلة التي سقناها سابقا. وحسب تفكيرهم الملتوي، فإن شعورهم بالألم عندما يركلون حجراً، أو عندما يُصفعون على الوجه، وشعورهم بالامتلاء عندما يأكلون الكعك، أوالهرب عند رؤية باص سريع على الطريق لكي لا يصدمهم، كل ذلك دليل على وجود المادة. والنقطة التي لم يستطيعوا فهمها هي أن الألم الذي يشعرون به عندما يركلون حجراً، والطعم الذي يتذوقونه عندما يأكلون الكعك والإدراك الحسي بالقساوة والألم الفيزيائي الذي يشعرون به عند الاصطدام بالباص تتشكل أيضاً في الدماغ.

إن الشخص الذي يحلم بأن الباص قد ضربه يمكن أن يفتح عينيه فيجد نفسه في المستشفى، مرة أخرى في حلمه، ويستوعب بأنه أصبح عاجزاً وكل ذلك في حلمه. كما يمكنه أن يحلم بأنه توفي نتيجة لحادث سيارة، وملائكة الموت قد قبضت روحه، وحياته الآخرة قد بدأت (وهذه الحادثة الثانية يمكن أن تمارس كما لو كانت في الحياة، والتي هي عبارة عن إدراك حسي، تماماً كالحلم). إن هذا الشخص يدرك بحدة الصور والأصوات وشعور الصلابة و الضوء والألوان وكل المشاعر الأخرى المتربطة بالحادثة التي يمارسها في حلمه.

إن الإدراكات الحسية في حلمه هي إدراكات طبيعية تماماً كالحياة "الحقيقية". فالكعكة التي يأكلها في الحلم تشبعه بالرغم من كونها مجرد إدراك حسي في حلم، لأن الشعور بالشبع هو أيضاً إدراك حسي في حلم. ومع ذلك ففي الحقيقة فإن هذا الشخص يرقد في سريره في تلك الدقيقة. ولا يوجد درج أو مواصلات أو باصات لأخذها بالحسبان. إن الشخص الحالم يمارس إدراكات حسية ومشاعر غير موجودة في العالم الخارجي. والواقع أننا من خلال أحلامنا نمارس ونرى ونشعر بأحداث ليس لها روابط فيزيائية "بالعالم الخارجي"، بصورة واضحة بحيث تبين أن العالم الخارجي الذي نعيشه في يقظتنا يتألف أيضاً من مجرد إدراكات حسية بصورة تامة. وسواء أكان ذلك في الحلم أم في الحياة اليومية، فإن كل الأشياء المرئية والممارسة والتي نشعر بها هي إدراكات حسية.

ص 45

لنبحث في مثال حادثة الباص: إذا كانت أعصاب الشخص الذي صدمه الباص التي تنتقل من حواسه الخمس إلى دماغه، متصلة بدماغ شخص آخر على التوازي، وفي اللحظة التي صدمه فيها الباص، فإن الصدمة ستؤثر أيضاً على الشخص الجالس في بيته، وفي الوقت نفسه فإن جميع المشاعر التي يمارسها الشخص ضحية الحادث سيمارسها الشخص الجالس في بيته، تماماً كالأغنية التي تسمع من مكَبّري صوت مختلفين ومربوطين إلى المسجلة نفسها. إن الشخص الجالس في بيته سيشعر بضربة الباص ويراها ويحس بها ويمارسها، ويشعر بتأثيرها على جسمه، وكذلك صور ذراعه المكسور والدم، والكسور، وصور دخوله إلى غرفة العمليات وقساوة جبيرة الجبس، وضعف ذراعه.

كل الأشخاص المتصلين بالتوازي مع أعصاب هذا الرجل سيشعرون بالحادث من البداية إلى النهاية. وإذا أصبح الرجل في حالة سبات، فإنهم سيصبحون في حالة سبات أيضاً. بل أكثر من ذلك إذا سجلت الإدراكات الخاصة بحادث الباص، وإذا نقلت هذه الإدراكات إلى شخص ما بصورة متكررة فإن الباص سيصدمه عدة مرات.

ص 46

إذن أي باص من الاثنين هو الذي صدم الناس في الحقيقة؟ الفلسفة المادية ليس لديها جوابٌ ثابتٌ على هذا السؤال. والجواب الصحيح هو أن الجميع قد مارسوا حادثة السيارة بكامل تفاصيلها داخل أدمغتهم.

والمبدأ نفسه ينطبق على مثالي الكعكة والحجر. فإذا تم وصل أعصاب الأعضاء الحسية للشخص الذي شعر بالتخمة والشبع في معدته بعد أكله الكعك، بالتوازي مع دماغ شخص آخر، فإن هذا الآخر سيشعر أيضاً بالشبع عندما يأكل الأول الكعك ويشعر بالشبع. وإذا تم وصل أعصاب الشخص ذي العقيدة المادية الذي شعر بالألم في قدمه عندما ضرب الحجر بقوة، بالتوازي مع شخص آخر، فإن هذا الآخر سيشعر بالألم بنفسه.

وبالتالي أي كعكة أو أي حجر هو الحقيقي؟ ومرة أخرى تعجز الفلسفة المادية عن إعطاء جواب ثابت عن هذا السؤال. إن الجواب الصحيح والثابت لذلك هو: أن كلا الشخصين قد أكلا الكعك في دماغهما وشعرا بالشبع، وكلا الشخصين قد مارسا لحظة ضرب الحجر في دماغهما.

في هذه الحالة لا يستطيع الإنسان تجاوز حواسه والتهرب منها. ومن الممكن، كما جاء في الأمثلة المذكورة أعلاه، تعريض روح الإنسان لجميع أمثلة الحوادث الفيزيائية التي ليس لها جسم ولا وجود أو وزن مادي. وليس من السهل على الإنسان إدراك ذلك، لأنه يفترض بأن هذه الصور الثلاثية الأبعاد هي حقيقية، وهو متأكد من وجودها لأنه، مثل أي شخص آخر، يعتمد على أعضائه الحسية. وقد كشفت هذه الأمثلة بوضوح بأنه لا يوجد فرق واضح بين الأحلام والحياة الحقيقية. ولهذا لا يمكننا التأكد مطلقاً بأن الحياة التي نعيشها الآن ليست نوعاً من الحلم.

لماذا لا يدركون؟

الموضوع الذي أوضحناه حتى الآن هو أحد أكبر الحقائق التي ستعرفها في حياتك. وإثبات أن العالم المادي هو في الحقيقة "ظل الحياة"، فإن هذا الموضوع هو المفتاح لفهم وجود الله تعالى وخلقه، وكذلك لفهم أن الله هو وحده الكائن الكامل.

والإنسان الذي يفهم هذا الموضوع، يدرك أن العالم ليس هو المكان الذي يفكر معظم الناس فيه. فالعالم ليس بالمكان المطلق ذي الوجود الحقيقي كما يفترضه أولئك الذين يطوفون في الشوارع بدون هدف ويتشاجرون في الحانات، ويتفاخرون في المقاهي الفخمة ويقضون حياتهم في أحاديث لا فائدة منها ويتباهون بأموالهم. إن هؤلاء يتعاطون مع عواطفهم اليائسة والأنانية أو أنهم يكرسون حياتهم لأهداف فارغة. إن العالم عبارة عن إدراكات حسية ووهم. وجميع الناس الذين ذكرناهم، مهما كانت مراتبهم، ليسوا إلا ظل كائنات يراقبون

هذه الإدراكات بعقولهم، ومع ذلك، فهم غافلون عن ذلك.

ص 48

إن الحقائق المبينة هنا هي ثابتة مثل القوانين الفيزيائية أو المعادلات الكيميائية. ويستطيع الناس، عند الضرورة، حل حتى أصعب المسائل الرياضية، وفهم العديد من المواضيع التي تبدو صعبة الفهم، ومع هذا فعندما يعلم الناس أنفسهم بأن المادة ليست إلا صورة تشكلت في الدماغ فإنهم يترددون في قبول ذلك. وهذه حالة من الغباء المطلق. إن فهم الموضوع المطروح هو بسهولة الإجابة نفسها على سؤال مثل "ما هو ضعف العدد اثنان؟" أو كم عمرك؟ أو بسهولة الإجابة، عندما نشرب كأساً من الماء، على سؤال: "بماذا تشرب الماء؟" لأن هذه الحقائق قد أثبتها العلم اليوم.

إذا سألت أخصائياً في مجال الطب كيف تعمل العين، فإنه يستطيع أن يشرح لك المواضيع الفنية التي وصفناها هنا بالتفصيل. ومع ذلك فإنه لا يعترف بما هو بديهي بالنسبة إلى نتيجة هذه المعلومات الفنية. إنه لا يسلم أبداً بقول "نعم" لقد تشكلت الصورة في دماغي، وبالتالي فإن من المستحيل بالنسبة إليّ أن يكون لدي فكرة مؤكدة عما يحدث في الخارج. أو إذا سألت ذلك الشخص "أين القمر؟"، فسينظر إلى الأعلى ويقول: "إن القمر موجود في الأعلى على بعد ملايين الكيلومترات". ولكنه لا يستطيع أبداً أن يقول: "القمر موجود فعلاً في دماغي". إنه يدعي الجهل، لأن قبول هذه الحقيقة أو الإعلان عنها سيكشف عن حقيقة هامة جداً بالنسبة إليه. وبما أن كل شيء عبارة عن وهم تشكل في الدماغ ومنح له، إذن هناك خالق جعله يرى هذه الصور.

وهذا هو السبب الذي يجعل شخصاً ما، قضى سنوات طويلة في الدراسة، وأصبح معروفاً بأنه يملك أعظم درجات التخصص في مجال ما، وتؤخذ استشارته في مواضيع عديدة ويفتخر بذكائه، لا يستطيع فهم مثل هذه الحقيقة الواضحة. إن هذا الموضوع يذكر هؤلاء الناس بالدين، ويدعوهم للتنبه لوجود الله وقوته اللامتناهية والمحيطة بكل شيء، وأنه المالك الوحيد لكل شيء. ولهذا السبب

يوسوس الشيطان للناس كي لا يفكروا في هذا الموضوع. وكما جاء في القرآن الكريم عن قوم سبأ: [...وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ] [سورة النمل: 24]، فالشيطان يبعد الناس عن هذه الحقيقة.

ص 49

إن هؤلاء الناس الذين يتأثرون بوساوس الشيطان هم فاسقون لأنهم لم يستطيعوا رؤية الحقيقة الواضحة أمامهم. إن وصفهم مثل الذي يدعي بأن صور الشريط السينمائي "موجودة فعلاً"، كما أنه يحاول التدخل في صنع هذه الصور. ولا يختلف ذلك عمن يمد يده لتناول صحن الطعام من التلفاز مفترضاً أنه موجود فعلاً. من الواضح أن وضع هؤلاء الناس الذين يحاولون الهروب من هذا الموضوع هو فعلاً "وضع في منتهى الطيش". وبالفعل فإن هذا الطيش يأتي، لأنهم غير مؤمنين، كما حرمهم الله من الحكمة. و قد جاء في القرآن بأن الكافرين [لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الغَفلونَ] [سورة الأعراف: 179].

إن الرسالة الواردة في الآية هي إعجاز قرآني. ويشير الله في كتابه إلى وجود أشخاص لديهم معلومات واسعة ويستطيعون فهم المواضيع الفنية، ومع ذلك لا يستطيعون فهم الحقيقة الواضحة حول حقيقة طبيعة المادة رغم أنها وصفت لهم بطرق مختلفة. والآية التالية بهذا الخصوص تتنبأ بمصيرهم:

[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [سورة البقرة: 6-7].

إذن، فالله يسمح لبعض الناس بإدراك هذا الموضوع. ومع ذلك فإن أولئك الذين يهربون من الحقيقة اليوم يجب أن يعلموا بأن هذه الحقيقة العلمية ستكسب قبولاً عاماً خلال السنوات القليلة القادمة في جميع أنحاء العالم. وسيفهم الناس بالتأكيد أنهم يعيشون في عالم خيالي يظهر أمامهم كالمسرحية.

وعندما يقرر الله الزمن سيكشف النقاب عن عيون الناس ويريهم أن أقرب الكائنات لهم، وأن كل شيء، ماعدا وجوده، ليس إلا حلماً. وسيستوعب الناس تماماً هذه الحقيقة الخاصة بسر ما وراء المادة. وكذلك حقائق أخرى وردت في القرآن الكريم.

ص 50

خاتمة:

إن الموضوع الذي قمنا بإيضاحه حتى الآن هو من أعظم الحقائق التي يمكن أن تدركها في حياتك.

ويمكنك تقصي ما وراء هذه الناحية بقوة تفكيرك الشخصي. ولهذا يجب أن تركز انتباهك إلى الطريقة التي ترى بها الأشياء المحيطة بك وماذا تشعر عندما تلمسها. وإذا فكرت بانتباه، فإنك ستشعر بأن الإنسان الذكي الذي يرى ويسمع ويلمس ويفكر ويقرأ هذا الكتاب في هذه اللحظة هو ليس إلا روحاً تراقب الإدراكات الحسية المسماة "بالمادة" على الشاشة. إن من يدرك ذلك يعتبر أنه قد ابتعد عن محيط العالم المادي الذي يخدع السواد الأعظم من الإنسانية، وأنه قد دخل عالم الوجود الحقيقي.

لقد فهم عدد من الموحدين والفلاسفة هذه الحقيقة عبر التاريخ. فحسب رأي الإمام رباني فإنّ جميع الموجودات إذا قيست بحقيقة الله تعالى هي عبارة عن "وجود ظل". كما أدرك أعلام الإسلام مثل الإمام رباني ومحيي الدين بن عربي ومولانا الجامي من خلال الرموز الموجودة في القرآن الكريم وباستخدام عقولهم. واستطاع بعض الفلاسفة الغربيين مثل جورج بركلي فهم الحقيقة نفسها من خلال العقل. وقد كتب الإمام رباني في مخطوطه "رسائل" (مكتوبات) أن كل الكون المادي هو "وهم وافتراض (إدراك حسي)"، وأن الوجود المطلق الوحيد هو الله تعالى:

"...إن جوهر الكائنات التي خلقها الله هو العدم.. لقد خلق الله الجميع في عالم الحواس والأوهام.. إن وجود الكون هو عالم الحواس والأوهام، وليس المادة..

في الحقيقة لا يوجد أحد سواه سبحانه تعالى (من هو الله)[21].

ص 51

والواقع أن عدد أولئك الذين فهموا هذه الحقيقة عبر التاريخ كان محدوداً دوماً. والعلماء الكبار مثل الإمام رباني كتبوا بأنه ربما ليس من الحكمة إخبار عامة الناس بهذه الحقيقة لأن معظم الناس غير قادرين على استيعابها.

ولقد تم البرهان على ذلك في عصرنا هذا كحقيقة مبنية على الاختبار بواسطة مجموعة البراهين التي قدمها العلم. ولأول مرة في التاريخ يتم وصف الكون على أنه خيالي بمثل هذه الطريقة الملموسة والواضحة والمكشوفة.

ولهذا السبب فإن القرن الواحد والعشرين سيكون نقطة تحول تاريخي عندما يفهم الناس بصورة عامة الحقائق الإلهية. وستوجهون أفواجا أفواجا نحو الله تعالى المطلق الوحيد. أما العقائد المادية التي سادت في القرن التاسع عشر فستؤول إلى أكوام النفايات التاريخية، وسيتم قبول وجود الله وخلقه، وسوف يفهم مبدأ اللامحدودية والسرمدية. وباختصار، فإن الإنسانية ستتخلى عن الحجب المسدلة لقرون وعن الخداع والخرافات التي كانت تشوش عليهم أفكارهم. ولن يستطيع أي كائن خيالي إعاقة هذه المسيرة التي لابد منها.

الخلود

وحقيقة القدر

ص 52

كل ما ورد حتى الآن يشير إلى عدم وجود "المجال ثلاثي الأبعاد" في الحقيقة، وأنه مجرد حكم مسبق وُجد بصورة كاملة بناء على إدراكات حسية، وأن الإنسان يعيش حياته كلها في "اللامحدود". فليس هناك إثبات صحيح لوجود عالم مادي ثلاثي الأبعاد. إن الكون الذي نسكنه هو حصيلة صورة مؤلفة من أدوار من الضوء والظل. ولإثبات عكس ذلك يجب أن يتكون لدينا اعتقاد خرافي بعيد جداً عن العقل والحقيقة العلمية.

ص 53

وهذا ينفي الفرضية الأولية للفلسفة المادية، ألا وهي فرضية أن المادة شيء مطلق وخالد. والفرضية الثانية التي تستند إليها الفلسفة المادية هي افتراض أن الزمن مطلق وخالد. وهذه الفرضية خرافية مثل سابقتها.

إدراك الزمن

إن ما ندركه على أنه الزمن هو، في الواقع، طريقة تقارن بواسطتها لحظة بأخرى. وتستطيع شرح ذلك بإعطاء مثال. فمثلاً، عندما يضرب شخص ما على شيء فإنه يسمع صوتاً محددا. وعندما نضرب على الشيء نفسه بعد خمس دقائق فإنه يصدر أيضا صوتا آخر. ويستطيع إدراك أن هناك فاصلاً بين الصوت الأول والثاني، ويقول لهذا الفاصل بينهما "زمنا". أيضاً في الوقت الذي يسمع فيه الصوت الثاني فإن الصوت الأول الذي سمعه ليس أكثر من تصور عقلي، وهذه ليست أكثر من معلومة صغيرة في ذاكرته. ويصيغ الشخص مفهوم الزمن

بمقارنة اللحظة التي يعيشها بما هو موجود في ذاكرته. وإذا لم تجر هذه المقارنة فلن يكون هناك مفهوم للزمن.

وبصورة مشابهة، فإن من يشغل غرفة، يقوم بإجراء مقارنة عندما يرى شخصاً ما يدخل من الباب ويجلس على كرسي في وسط الغرفة. ومع مرور الوقت فإن الزائر الجديد الجالس على الكرسي، والصور المرتبطة بلحظات فتحه الباب ودخوله الغرفة متجهاً نحو الكرسي، كل ذلك يتجمع في دماغه كأجزاء معلومات. إن إدراك الزمن يحدث عندما يقارن الشخص الآخر الجالس على الكرسي مع أجزاء المعلومات الموجودة في دماغه.

وبإيجاز فإن الزمن يصبح موجوداً نتيجة لمقارنة تتم بين بعض المعلومات المخزونة في الدماغ. فإذا لم يكن هناك ذاكرة لدى الشخص، فإن دماغه لن يستطيع القيام بهذا التفسير، وبالتالي لن يستطيع أبداً القيام بتشكيل مفهوم الزمن. إن السبب الوحيد الذي يجعل شخصاً ما يقرر أن عمره ثلاثون عاماً هو لأنه قد جمع معلومات تعود إلى الأعوام الموجودة في عقله. وإذا لم تكن لديه ذاكرة فإنه لن يفكر في وجود تلك الفترة الماضية، وسيشعر فقط بـ"اللحظة" الوحيدة التي يعيشها . وهذه نقطة مهمة جداً.

ص 54

التفسير العلمي للخلود

لنحاول توضيح الموضوع بالاقتباس من عدة تفسيرات لعلماء وباحثين حول هذا الموضوع. بالنسبة إلى الزّمن والعودة إلى الوراء يقول العالم الشهير الحائز على جائزة نوبل البروفيسور في علم الوراثة فرانسوا جيكوب في كتابه "الممكن والفعلي" ما يلي:

"عندما تعيد الفيلم في الاتجاه المعاكس يصبح من الممكن تصور العالم حين يعود الزمن إلى الوراء، إنه عالمٌ حيث ينفصل الحليب عن القهوة وينسكب من الفنجان ليصل إلى إبريق الحليب، عالم حيث تصدر أشعة الضوء من الجدران وتتجمع في مصيدة (مركز الثقل) بدل أن تندفع من مصدر الضوء. عالم ينزلق

فيه الحجر إلى كف الإنسان بتعاون مدهش بين عدد لا يحصى من نقاط الماء تسمح للحجر بالقفز من الماء. ومع هذا ففي مثل هذا العالم، حيث الزمن له هذه المظاهر العكسية فإن مسارات عقولنا والطريقة التي تقوم فيها ذاكرتنا بجمع المعلومات ستعمل إلى الوراء بصورة مشابهة. والشيء ذاته صحيح بالنسبة إلى الماضي والمستقبل، وسيبدو العالم بالنسبة إلينا تماماً كما يبدو في حالته الراهنة(23)".

وبما أن دماغنا قد اعتاد على سلسلة من الحوادث، فإن العالم لا يعمل كما أوردنا سابقا، ونحن نفترض أن الزمن يسير دوماً إلى الأمام. وعلى أي حال فإن هذا القرار تم التوصل إليه بواسطة الدماغ وهو قرار نسبي. وإذا رتبنا أجزاء المعلومات في ذاكرتنا كما هو الحال في الأفلام، التي تدور للخلف، ففي هذه الحالة سنبدأ في إدراك الماضي على أنه مستقبل والمستقبل على أنه ماضٍ وسنعيش حياتنا بتسلسل معاكس تماماً.

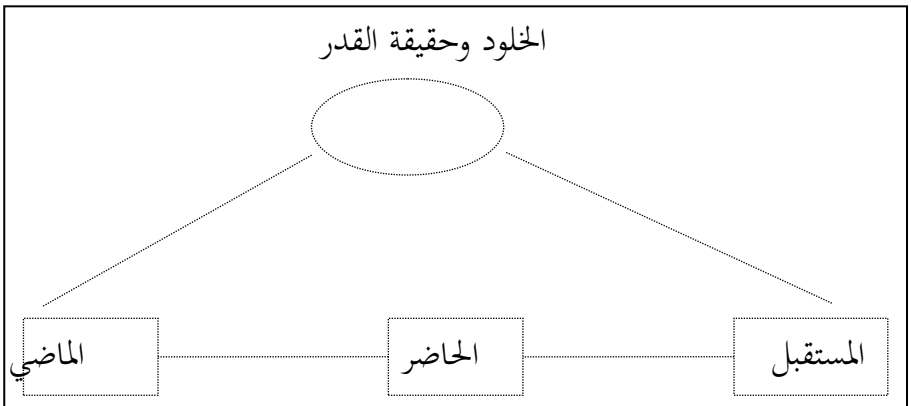

كل الأحداث التي تبدو وكأنها حدثت في الماضي، أو التي ستحدث في المستقبل، أو التي تأخذ مجراها في الحاضر، قد حدثت وانتهت في نظر الله تعالى، الموجود في كل زمان ومكان. وبالطريقة نفسها حدثَ الخلود انتهى بالنسبة إلى الله تعالى، تماماً مثل تزامن اللقطات في فيلم حقيقي.

ص 55

لا يمكننا أن نعرف أبداً كيف يجري الزمن في الحقيقة، أو حتى إن كان يجري

أم لا. هذا مؤشر **لحقيقة أن الزمن ليس حقيقة مطلقة، بل هو نوع من الإدراك.**

إن نسبية الزمن هي حقيقة أكدها أيضاً أحد أهم علماء الفيزياء في القرن العشرين ألبرت إنشتاين. ويقول لنكولن بارنت في كتابه: "الكون والدكتور إينشتاين":

"لقد نبذ إينشتاين، إضافة إلى الخير المطلق، مفهوم الزمن المطلق. حول الانسياب العالمي للزمن الثابت واللامتغير والذي لا يمكن سبره، والجاري من ماضٍ لا محدود إلى مستقبل لا محدود. إن معظم الغموض الذي يحيط بنظرية النسبية ناتج عن عدم رغبة الإنسان في الاعتراف **أن الإحساس بالزمن، مثل الإحساس باللون، هو شكل من الإدراك.** وكما أن المكان هو ببساطة ترتيب محتمل لأشياء مادية، كذلك الزمن هو ترتيب محتمل للأحداث. إن أفضل توضيح لذاتية الزمن هي كلمات إينشتاين نفسه الذي يقول: "إن تجارب الفرد تبدو لنا مرتبة من خلال سلسلة من الأحداث، وفي هذه السلسلة تبدو الأحداث **التي نتذكرها وكأنها مرتبة حسب مقياس الأقدم فالأحدث.** وبالتالي يتشكل لدى الفرد "زمن الأنا" أو **الزمن الذاتي.** وهذا بحد ذاته لا يمكن قياسه. إنني أستطيع بالفعل، ربط الأرقام بالأحداث بحيث أن الرقم الأكبر يرتبط بالحادثة التالية بدلاً من ارتباطه بالحادثة التي سبقتها[24]".

ص 56

ولقد أشار إينشتاين نفسه، كما جاء في كتاب بارنت "إلى أن المكان والزمان هما شكلان للحدس، لا يمكن فصلهما عن الشعور تماماً مثل مفاهيمنا عن اللون والشكل أو القياس".

وحسب نظرية النسبية العامة: «**ليس للزمن وجود مستقل بمعزل عن تسلسل الأحداث التي نقيس بها[25]**".

وبما أن الزمن يستند إلى الإدراك الحسي فإنه يستند بصورة كاملة إلى الشخص المدرك، وبالتالي فهو نسبي.

إن السرعة التي يمضي بها الزمن تختلف حسب المصادر التي نستخدمها لقياسه، لأنه لا يوجد ساعة طبيعية في جسم الإنسان لتبين بدقة ما هي السرعة التي يسير بها الزمن. وقد كتب لنكولن بارنيت بهذا الخصوص: "وكما أنه لا يوجد لون بدون وجود عين تميزه، كذلك فإن اللحظة أو الساعة أو اليوم لا تساوي شيئاً بدون وجود حادثة تسجلها(26)".

وتمارس نسبية الزمن بوضوح في الأحلام. ورغم أن ما نراه في أحلامنا يبدو وكأنه قد استمر لساعات، ولكن الحلم في الحقيقة لا يدوم سوى دقائق قليلة، بل ثوانٍ قليلة.

دعونا نفكر في مثال آخر لتوضيح الموضوع أكثر. ولنفترض أننا موجودون في غرفة فيها نافذة وحيدة مصممة بصورة خاصة، وبقينا في الغرفة لفترة معينة. إن الساعة الموجودة في الغرفة تسمح لنا بمعرفة كمية الزمن الذي مر. وفي الوقت نفسه، فإننا نستطيع أن نرى من نافذة الغرفة شروق الشمس وغروبها في فواصل محددة. وبعد عدة أيام فإن الجواب الذي يمكن أن نقدمه حول طول الزمن الذي قضيناه في الغرفة سيستند إلى المعلومات التي جمعناها بالنظر إلى الساعة بين الحين والآخر، وإلى الحسابات التي قمنا بها حول عدد مرات شروق الشمس وغروبها. لنفترض حسب تقديرنا أننا قضينا ثلاثة أيام في الغرفة. ومع ذلك، إذا قال الشخص الذي وضعنا في الغرفة بأننا قضينا يومين فقط هناك، وأن الشمس التي رأيناها من النافذة كانت مصطنعة بواسطة آلة وأن الساعة الموجودة في الغرفة قد ضبطت كي تعمل بسرعة خاصة، عندئذ تكون الحسابات التي أجريناها لا معنى لها".

ص 57

وهذا المثال يؤكد أن المعلومات الموجودة لدينا حول معدل مرور الزمن يستند إلى مراجع نسبية.

وبالطريقة نفسها، فإن حقيقة أن كل شخص يدرك سرعة مرور الزمن بصورة مختلفة ضمن حالات مختلفة، فهذا دليل على أن الزمن ليس إلا إدراكٌ نفسيٌ.

فمثلاً عندما تريد أن تقابل صديقاً فإن تأخير مدة 10 دقائق من جانبه سيبدو لك لا متناهياً أو على الأقل زمناً طويلاً. أو بالنسبة إلى شخص يعاني الأرق، وعليه أن يستيقظ ليذهب إلى المدرسة أو العمل، فإن نوم عشر دقائق إضافية تبدو مدة طويلة جداً. وربما يعتقد أن كل الفترة التي نام فيها هي العشر دقائق تلك. وفي بعض الحالات يحدث العكس. وكما تذكر خلال سنوات المدرسة، فبعد مرور أربعين دقيقة من الدرس، والتي تبدو كأنها قرون، فإن الاستراحة لمدة عشر دقائق تبدو أنها مرت بسرعة كبيرة.

ص 58

إن نسبية الزمن هي حقيقة علمية ثبتت أيضاً بالمنهج العلمي. ونظرية إينشتاين حول النسبية العامة تؤكد أن سرعة الزمن تتغير بالاستناد إلى سرعة الشيء وموقعه من حقل الجاذبية الأرضية. وكلما تزايدت السرعة نقص الزمن وانضغط، بحيث يتباطأ وكأنه سيصل إلى نقطة "التوقف".

ولنشرح ذلك بإعطاء مثال من أمثلة إينشتاين. تخيل توأماً، أحدهما بقي على الأرض بينما سافر الآخر في الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء. فعندما يعود المسافر سيرى أن أخاه قد أصبح أطول منه بكثير. والسبب هو أن الزمن يمضي بصورة أبطأ بكثير بالنسبة إلى الشخص الذي يسافر بسرعات تقارب سرعة الضوء. والشيء نفسه ينطبق على أب يسافر في صاروخ بالفضاء سرعته تقارب 99% من سرعة الضوء، وابنه موجود على الأرض. "إذا كان عمر الأب سبعة وعشرون عاماً عندما انطلق، وعمر ابنه ثلاث سنوات، فعندما يعود الأب إلى الأرض بعد ثلاثين عاماً (بتوقيت الأرض) فسيكون عمر الابن ثلاثاً وثلاثين عاماً، بينما يكون عمر أبيه ثلاثين عاماً فقط(27)".

إن نسبية الزمن هذه ليست بسبب إبطاء أو تسريع الساعات أو إبطاء النابض الميكانيكي. إنها بالأحرى نتيجة اختلاف عملية المدد في النظام الكلي لوجود المادة، وهذا أمر عميق يصل إلى الأجزاء الصغيرة للذرة. في مثل هذا الإطار حيث يختصر الزمن، فإن ضربات قلب الإنسان ومطابقة الخلايا وعمل

الدماغ الخ، كلها تعمل ببطء، ومع ذلك فإن الشخص يستمر في حياته اليومية ولا يلاحظ اختصار الزمن إطلاقاً.

ص 59

وهذه الحقائق التي كشفت عنها النظرية النسبية قد أثبتت مرات قليلة من قبل علماء مختلفين. ويقول إيزاك أسيموف في كتابه "اكتشافات" أيضاً أنه مضى 84 عاماً على نشر نظرية إينشتاين النسبية، وفي كل مرة تختبر فيها النظرية وتبين أن إينشتاين على حق مرة أخرى(28).

النسبية في القرآن

النتيجة التي وصلنا إليها من خلال الاكتشافات العلمية الحديثة هي أن الزمن ليس حقيقة مطلقة كما يفترضها الماديون بل هو إدراك نسبي. والأمر الأكثر إثارة هو أن هذه الحقيقة التي لم يكتشفها العلم إلا في القرن العشرين قد كشف عنها القرآن الكريم للبشرية قبل أربعة عشر قرناً. وهناك مراجع مختلفة في القرآن حول نسبية الزمن.

يمكن أن ترى في العديد من الآيات القرآنية الحقيقة المثبتة علمياً بأن الزمن هو إدراك نفسي يعتمد على الأحداث والمكان والظروف. فحياة الإنسان مثلاً كلها عبارة عن زمن قصير جداً كما يبين لنا القرآن الكريم:

[يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلاً] [سورة الإسراء: 52].

[وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ] [سورة يونس: 45].

وتشير بعض الآيات إلى أن الناس يدركون الزمن بصورة مختلفة، كما يدرك الناس أحياناً فترة قصيرة جداً على أنها فترة طويلة جداً. والنقاش التالي بين مجموعة من الناس خلال حسابهم في اليوم الآخر مثال جيد على ذلك:

[قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ، قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ] [سورة المؤمنون: 112-

.[114

ص 60

ويبين الله في آيات أخرى أن الوقت يمكن أن يمضي بسرعات مختلفة في أماكن مختلفة:

[تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] [سورة المعارج: 4].

[يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ] [سورة السجدة: 5].

إن هذه الآيات هي تعبير واضح عن نسبية الزمن. وأن هذا الاكتشاف الذي فهمه العلماء مؤخراً في القرن العشرين، قد وصل أعلن عنه القرآن الكريم قبل 1400 عام، وهو دليل على أن القرآن هو وحي من عند الله، الذي يحيط بكل زمان ومكان.

وهناك آيات كثيرة في القرآن تبين أن الزمن مجرد إدراك. وهذا واضح بصورة خاصة في القصص. فمثلاً أبقى الله أهل الكهف، وهم مجموعة من المؤمنين ذكرهم القرآن، في نوم عميق، أكثر من ثلاثة قرون. وعندما استيقظوا ظن هؤلاء بأنهم ظلوا في هذه الحالة مدة قصيرة ولم يدركوا أنهم ناموا طويلاً:

[فَضَرَبْنَا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً] [سورة الكهف: 11. 12].

[وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لبثنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ] [سورة الكهف: 19].

إن الحالة الموصوفة في الآية التالية هي أيضاً دليل على أن الزمن هو في الحقيقة إدراك نفسي:

[أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مَائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ، قَالَ كَمْ لَبِثْتَ، قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ

يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [سورة البقرة: 259].

ص 61

إن هذه الآية تؤكد بوضوح أن الله تعالى، هو الذي خلق الزمن، لكنه غير مقيد به. إلا أن الإنسان من جهة أخرى، محدود بالزمن، الذي يقدره الله. وكما جاء في الآية فالإنسان غير قادر حتى على معرفة كم من الوقت نام. وإذا كان الأمر كذلك فالتأكيد على أن الزمن مطلق (كما يفعل الماديون بتفكيرهم الأخرق) أمر غير منطقي أبداً.

القدر

إن نسبية الزمن توضح أمراً مهما للغاية. والنسبية أمر متغير بحيث أن الفترة التي تبدو لنا بلايين السنين في مدتها يمكن أن تدوم ثانية فقط بمفهوم آخر. وأكثر من ذلك، فالفترة الزمنية الممتدة من بداية العالم وحتى نهايته يمكن أن لا تدوم حتى ولا ثانية ولكنها لحظة في بعد آخر. هذا هو جوهر مفهوم القدر، وهو مفهوم يوجد لدى معظم الناس، غير أن الماديين ينكرون ذلك تمام الإنكار. فالقدر هو معرفة الله التامة بكل أحداث الماضي و المستقبل. وغالبية الناس يسألون كيف يمكن أن يحيط الله علما بحوادث لم تتم بعد، وهذا يؤدي بهم إلى عدم فهم حقيقة القدر. ومع ذلك فإن الأحداث التي لم تتم بعد هي بالنسبة إلينا فقط لم تحدث، فالله تعالى لا يحده زمان أو مكان، لأنه هو الذي خلقهما. ولهذا السبب فإن الماضي والحاضر والمستقبل كلها مفاهيم متساوية بالنسبة إلى الله، فكل شيء بالنسبة إليه قد حدث وانقضى.

ويبين لينكولن بارنيت في كتابه "الكون والدكتور إينشتاين"، كيف تؤدي نظرية النسبية العامة إلى هذه النتيجة. ويرى بارنيت أن الكون يمكن أن **"يحاط وبكل عظمته بفكر كوني فقط"**. إن المشيئة التي يسميها بارنيت "الفكر الكوني" هي حكمة الله ومعرفته، فالله فعلمه وسع الكون كله. وكما نستطيع

رؤية بداية المسطرة ومنتصفها ونهايتها وجميع الوحدات الموجودة بينها بصورة إجمالية وبسهولة، فإن الله يعلم الزمن الذي يتحكم فينا وكأنه لحظة واحدة من بدايته إلى نهايته. من ناحية أخرى فإن الناس يتعرضون لحوادث فقط عندما يحين وقتها ويشهدون القدر الذي أوجده الله لهم.

ص 62

ومن المهم أن نلفت النظر إلى سطحية مفهوم القدر السائد والمشوه في مجتمعنا. إن هذا الاعتقاد المشوه للقدر هو عبارة عن خرافة بأن الله هو الذي قرر "قدر" كل إنسان، ولكن الناس يستطيعون أحياناً تغيير أقدارهم. فمثلاً يقول الناس عبارات سطحية عن مريض عاد من حافة الموت مثل "لقد قهر قدره"، فلا أحد يستطيع تغيير قدره. فالشخص الذي عاد من حافة الموت لم يمت فعلاً لأنه مقدر له ألا يموت في ذلك الوقت. فهؤلاء الذين يخدعون أنفسهم بالقول "لقد قهرت قدري"، لم يخرجوا عن قدرهم عندما يقولون هذا الكلام ويتصرفون بهذه العقلية. وقد جاء في الآية الكريمة: [...وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ] [سورة فاطر: 11] فالقدر هو علم الله تعالى، فالله يحيط علما بالزمان كله في اللحظة نفسها، وهو المتحكم في الزمان والمكان على حد سواء وبشكل مطلق. وبالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى كل شيء قد سُطّر وانتهى.

إننا نفهم أيضاً مما يذكره الله في القرآن الكريم أن الزمن واحد بالنسبة إلى الله تعالى: وبعض الأحداث التي تبدو لنا أنها ستحدث في المستقبل قد وردت في القرآن وكأنها قد حدثت منذ زمن بعيد. فمثلاً الآيات التي تصف المبررات التي يجب أن يقدمها الناس لله في الآخرة قد وردت كأحداث حدثت منذ زمن بعيد:

[وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً.... وَسِيقَ الَّذِينَ

اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً...] [سورة الزمر: 68 73].

ص 63

وفيما يلي بعض الآيات الأخرى حول هذا الموضوع:

[وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] [سورة ق: 21].

[وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ] [سورة الحاقة: 16].

[وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً. مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً] [سورة الإنسان: 12- 13].

[وبُرِّزَت الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى] [سورة النازعات: 36].

[فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ] [سورة المطففين: 34].

[وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً] [سورة الكهف: 53].

وكما يُلاحظ فإن الأحداث التي ستتم بعد الموت (من وجهة نظرنا) قد وردت في القرآن كأحداث مضت وانتهت. فالله ليس محدوداً بإطار الزمن النسبي الذي يحدنا نحن البشر. لقد أراد الله أن تكون هذه الأحداث من دون زمن: لقد قام بها الناس وأنجزت وعاشوا من خلال هذه الأحداث ثم انتهت. ويقول سبحانه في الآية التالية بأن كل حادثة، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة فهي بعلم الله ومدونة في كتابه:

ص 64

[وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] [سورة يونس: 61].

ما يفوز به المؤمنون:

المواضيع تم تناولها في هذا الفصل مثل حقيقة المادة واللامكان واللازمان هي في الواقع حقائق واضحة. وكما بينا من قبل فإن هذه الأمور بالتأكيد ليست ضربا من الفلسفة أو مجرد وجهة نظر، **إنها نتائج علمية لا يمكن إنكارها**. وإضافة إلى كونها حقيقة تقنية، فإن الإثباتات تؤكد أيضاً على عدم وجود بدائل أخرى عقلانية أو منطقية حول هذا الموضوع: **فالكون عبارة عن وجود وهمي** بكل المواد المكونة له وكل الكائنات التي تعيش فيه. إنه عبارة عن مجموعة من الإدراكات الحسية.

ويجد الماديون صعوبة في فهم هذا الموضوع. والسبب الرئيسي لعدم استيعابهم الموضوع هو خوفهم اللاشعوري مما سيواجهونه عندما يدركون ذلك. ويقول لنكولن بارنيت بأن بعض العلماء قد أدركوا هذه الناحية: لقد أدرك العلماء مع الفلاسفة مسألة اختصار كل الحقيقة الموضوعية إلى ظل عالم من الإدراكات وكذلك محدودية إحساسات الإنسان الخطرة(29).

وبينما تسبب، حقيقة أن الكون والمادة هي إدراكات، الإزعاج للماديين فإن العكس صحيح بالنسبة إلى المؤمنين. إن من لديهم عقيدة يصبحون سعداء جداً عندما يدركون السر الكامن وراء المادة، لأن هذه الحقيقة هي مفتاح جميع الأسئلة. وبهذا المفتاح يمكن كشف جيمع الأسرار. ومن السهل على الإنسان فهم مواضيع عديدة كان من الصعب عليه فهمها في السابق.

ص 65

وكما سبق ذكره، فإن مسألة الموت والجنة والنار والآخرة، والأبعاد المتغيرة والأسئلة الأخرى مثل "أين الله؟" "ماذا كان هناك قبل الله؟"، "من خلق الله؟"، "كم هي مدة الحياة في القبر؟"، "أين الجنة والنار؟" و"أين توجد الجنة والنار الآن؟" يمكن الإجابة عليها بسهولة. ويمكن فهمها من خلال النظام الذي خلق الله فيه الكون كله من لا شيء، إلى حد أنه بهذا السر **تصبح أسئلة متى وأين لا معنى لها** لأنه لم يعد هناك زمان ولا مكان. عندما ندرك معنى اللامحدودية،

نفهم من ذلك أن جهنم والجنة **والأرض كلها فعلياً مكان واحد**. وعندما ندرك السرمدية، نفهم من ذلك أن كل شيء يتم في دقيقة واحدة، لا شيء ينتظر والزمن لا يمضي لأن كل شيء قد حدث وانتهى. **وهذا يعني في الحقيقة أن الأبدية قد بدأت.**

وبمعرفة هذا السر **فإن العالم يصبح كالجنة بالنسبة إلى المؤمن**. وتتلاشى جميع الإزعاجات المادية المؤلمة. والقلق والخوف، ويتفهم المؤمن بأن كل الكون له رب واحد، وهو الذي يغير العالم الفيزيائي كله كما يريد. وكل ما علينا فعله الالتفات إليه، والخضوع كلياً لله [فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] [آلعمران:53].

إن إدراك هذا السر هو أكبر مكسب في هذا العالم.

وبالإضافة إلى هذا السر، فهناك حقيقة مهمة جدا نفهمها أيضا من خلال القرآن الكريم: فمثلما ذكرنا من قبل فالله تعالى بالنسبة إلى الإنسان: [أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] [سورة ق: 16]، وكما هو معلوم فحبل الوريد موجود داخل جسم الإنسان، ولا يمكن أن توجد مسافة أقرب إلى الإنسان من نفسه.

وهذه الحالة تبين بسهولة أن الإنسان لا يستطيع أن يخرج إلى ما هو خارج عن ذهنه. ومثلما هو واضح، فهذه الآية تفهم أكثر من خلال هذا السر.

هذه هي الحقيقة، وينبغي أن يكون معلوما لدى كل إنسان أن لا أحد من دون الله تعالى يمكن أن يكون له مُؤنسا ونصيرًا. **لا أحد غير الله تعالى يمكن أن يكتسب صفة الإطلاق**. فالموجود المطلق الذي يُلجا إليه، ويُستعان به، وينتظر منه الجزاء هو الله عز وجل...

وحيثما ولينا وُجوهنا فثمّ وجه الله...

الحياة الأبدية بدأت

ص 66

ذاكرة الإنسان المحدودة وذاكرة الله اللانهائية

ص 67

ذكرنا في القسم المتعلق بالأبدية أن كل معلوماتنا هي عبارة عن ذاكرة. وكل التفاصيل المتعلقة بحياة الإنسان، وكل ما يراه ويسمعه ويشعر به عبارة عن أجزاء من معلومات يتذكرها. وهكذا هو أيضاً إحساسنا بالزمن. سنبحث الآن في مفهوم الذاكرة بصورة مفصلة أكثر.

كما جاء في الصفحات السابقة، فنحن نعتمد على حواسنا الخمس لكي نعيش. إننا ندرك ما تسمح به حواسنا فقط ولن ننجح أبداً في تجاوز حدود هذه الحواس. إن الزمان والمكان الذي نعيش فيه ندركه بصورة مشابهة. وإذا لم يستطع دماغنا أن يتبين كائناً ما من خلال حواسنا الخمس، فإننا نقول ببساطة بأن هذا الكائن قد اختفى. وبالتالي فإن الأحداث والصور والإحساسات المخزّنة في ذاكرتنا هي موجودة بالنسبة إلينا، أي أنها حية، بينما الأشياء المنسية لم تعد موجودة. وبطريقة أخرى فإن الكائنات والأحداث غير الموجودة في الذاكرة تصبح أحداثاً ماضية بالنسبة إلينا، إنها ببساطة ميتة وغير موجودة.

إضافة إلى ذلك، فإن الأمر يبقى صحيحاً لبني البشر. ومن ناحية أخرى

فإن ذاكرة الله هي فوق كل شيء، فهي خالدة ولا حدود لها. وهناك نقطة أخرى تستحق التنبيه إليها هنا: إن مفهوم "ذاكرة الله" يستخدم فقط بهدف التوضيح. وبالتأكيد لا يمكن إجراء مقارنة أو تشبيه بين ذاكرة الله وذاكرة الإنسان. فالله هو الذي خلق كل شيء من لا شيء، وبالتأكيد هو يعرف كل شيء وبأدق تفاصيله.

ويعّرف الله بنفسه في كتابه من خلال صفاته. وأحد هذه الصفات هي الحافظ وتعني "من يحفظ كل شيء بتفاصيله". وخلف هذه الصفة تختبئ أسرار غاية في الأهمية.

"اللوح المحفوظ"

إن كل شيء قد حدث وانتهى في اعتبار الله عز وجلّ. ومنذ بدء الزمن أخذ كل شيء مكانه في تلك اللحظة الوحيدة. وبعلم منه سبحانه، فإن جميع المعلومات المرتبطة بهذه اللحظة محفوظة في "كتاب". وهذا "الكتاب الرئيسي" أو كما يسميه القرآن "أم الكتاب" يحفظ كل جزء من المعلومات عن كل شيء:

ص 68

[وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ] [سورة الزخرف: 4].

[وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ] [سورة الرعد: 39].

[وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ] [سورة ق: 4].

[وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ][سورة النمل:75].

[وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً] [سورة الكهف: 49].

ويبين الله في آيات أخرى بأن كل الأحداث التي تمر بالإنسان وكل الأفكار التي يفكر فيها وكل ما يحصل موجود في هذا الكتاب:

[مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ

نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ] [سورة الحديد: 22].

وفي الواقع فإن كل شيء، سواء أكان حياً أم غير حيّ، قد وجد منذ بدء الكون، والأحداث التي جرت كلها من خلق الله. وبالتالي فإن الله عالم بها كلها. وبكلمة أخرى "كلها موجودة في ذاكرة الله". وبهذا المعنى فإن أم الكتاب يعتبر تجلياً لصفة الله، الحافظ.

في هذه النقطة نلاحظ حقيقة مدهشة: بما أن ذاكرة الله غير محدودة، فلا يمكن لأي شيء موجود فيها أن يضيع. ففي كل لحظة يخلق الله، وكل تفصيل دقيق لكل شيء قد خلق "منذ الأبد" و "ومقدر له الأبدية».

ماذا تعني إذن عبارة "مقدر له الأبدية؟"

ص 69

لنضع هذا التفسير بالطريقة التالية: لقد بدأت الأبدية بالنسبة لمخلوق أو حادثة في الوقت الذي خُلق به. فمثلاً عندما خلقت زهرة ما فهي، في الحقيقة، مقدر لها أن لا تختفي. فإذا لم يعد كائن ما جزءاً من إحساس شخص ما وزال من ذاكرته، فهذا لا يعني فعلياً بأنه قد اختفى أو مات. إن وجوده في نظر الله هو الذي يهم بالفعل. وأكثر من ذلك، فإن كل حالات الوجود سواء خلقها، أو كل اللحظات خلال الحياة أو الموت، موجودة في ذاكرة الله تعالى.

ويمنح الله الأبدية لكل المخلوقات. و بكلمات أخرى، فإن الأشياء الموجودة قد حققت الأبدية في الوقت الذي خلقت فيه. ولكي نستوعب جيداً هذه الفكرة الغامضة، لابد لنا من التفكير ملياً في كل الكائنات والحوادث بصورة منفردة. ولكن قبل المباشرة في هذا الموضوع، من المفيد التأكيد على الحقيقة التالية: إن ما قيل حتى الآن، مع ما سيتبعه، هو دون شك أكثر المعلومات أهمية التي يمكن للإنسان أن يحصل عليها خلال حياته. وعلى الأغلب فإن الكثير من الناس يسمعون ويتأملون هذه الحقائق حول الأبدية لأول مرة في حياتهم. وعلى أي حال، لابد أن نتذكر أمراً مهما: يلفت الله انتباهنا في القرآن إلى حقيقة أن "من يتوجهون نحو الله بصدق" هم فقط الساعون لذلك. وبكلمات أخرى فإن

أولئك الذين يسعون بصدق إلى هدى الله فإنهم يبذلون ما لديهم لتقدير قوته التي لا تنتهي، كما أنهم ينجحون في استلهام الموعظة من هذه الحقائق.

ص 70

الناس في الحياة الأبدية

الخالق هو الذي يخلق كل شيء من لا شيء، وهو يعلم بما سيحدث لكل شيء. ولبيان صفة الله هذه نرى أنه منذ أن يخلق الله الإنسان في رحم أمه يبدأ الخلود بالنسبة إليه. وبالتأكيد، فإن الإنسان لا يتذكر مراحل تطوره في الرحم. ومع ذلك فإن كل دقيقة من تطوره تكون حاضرة في علم الله تعالى، ولا تخفى عليه خافية. كذلك، لا يمكن أن تحتفظ ذاكرة الإنسان بالمراحل الأولية لحياته ومراحل تطوره. وما لم يعلمه الله فإن الإنسان لا يمكنه رؤية هذه اللحظات، وتبقى بعض اللحظات مجرد ذكريات. إن اللحظات التي نختبرها هي مجرد إحساسات تقدم لروحنا. ومع ذلك فإن كل شيء يبقى كما هو في ذاكرة الله اللامحدودة. إن كل ما يواجهه الناس في الحياة وكل التفاصيل المتعلقة بخبرة الإنسان قد خلقها الله وهي لا تختفي أبداً. وكما جاء في الآية الكريمة فإن كل شيء بكل تفاصيله الدقيقة يبقى في علم الله:

[.. ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِيَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] [سورة المائدة: 97].

ولنأخذ كمثال على ذلك النبي آدم، فإن كل التفاصيل المتعلقة بخلق آدم في الجنة قبل نزوله إلى الأرض وا لطريقة التي اختبر فيها بالجنة، كل ذلك ذكر في الكتاب الكريم. إن بداية خلق آدم من طين، وسجود الملائكة له، وكذلك اللحظة التي أرسل فيها إلى الأرض وكل الأحداث التي مرت به لاتزال واضحة وحية حتى الآن.لم يختف أي من هذه الأحداث وكلها موجودة بعلم الله و بأدق تفاصيلها.

وكمثال آخر، دعونا نفكر في شخص حزين لموت قطته. في الحقيقة إن اللحظة التي ماتت فيها القطة والمدة التي كانت فيها تلك القطة لاتزال صغيرة،

بل إن التطور الكلي لهذه القطة من لحظة ولادتها موجود في ذاكرة الله تعالى. إضافة إلى ذلك، فإن اللحظات التي كان فيها صاحب هذه القطة في عمله أو كل اللحظات التي لم يقضها مع القطة هي موجودة بوضوح في علم الله. وبالتالي فإن الموت لا يعني وضع نهاية لوجود الكائن. فالأبدية للجميع، وكل شيء موجود في علم الله سبحانه.

ص 71

والشيء نفسه ينطبق بالنسبة للنبي سليمان فاللحظة التي ربَّت فيها سليمان على ساقي فرسه باقية إلى الأبد. إن اختفاء الخيول خلف ستارة والرسالة التي أرسلها سليمان إلى ملكة سبأ، واللحظة التي قرأت فيها الملكة الرسالة مع جنودها، وكيف تم الترحيب بها في قصر سليمان، واللحظة التي اعتقدت فيها الملكة بأن أرض القصر بحيرة وكلمات الملكة:

[...وَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. [سورة النمل: 44] هي موجودة الآن وستظل موجودة إلى الأبد.

إن هذه الأمثلة تستحق التأمل العميق. لنفترض أن في أيام النبي نوح عليه السلام تقطع قميص أحدهم، وبعد فترة خاطه خياط. هذا القميص والنول الذي نسج عليه منذ البداية، وحالة القميص قبل أن يتقطع، والحالة التي أصبح فيها القميص قد حفظت في ذاكرة الله تعالى. ففي هذه اللحظة تماماً، يحاك القميص ولايزال يخاط ويلبس من قبل صاحبه الذي عاش أيام النبي نوح.

لنفكر أيضاً في الساعة القديمة الموجودة في بيتك. إن كل مراحل صنعها التي جرت قبل 200 عام مع مراحل صنع سلك واحد في الساعة، ولحظة تركيب عقربي الساعة والدقيقة، والزمن الذي بيعت فيه الساعة إلى المخزن ويشتريها الزبون، ثم اللحظة التي تعطلت فيها وأعطيت إلى مشتري الأدوات القديمة، واللحظة التي اشتراها جدك منه، والزمن الذي تم فيه توريث هذه الساعة أولاً لجدك ثم لأبيك ثم لك، والطريقة التي وضعت فيها هذه الساعة في غرفة جلوسك وأنت تراقبها بإعجاب. وباختصار، كل ثانية في تاريخ هذه الساعة

لاتزال في علم الله تعالى. وفي النتيجة، فإن هذه الساعة تعمل بصورة جيدة في هذه اللحظة.

لقد توقفت ثانية الآن، لقد وضعتها أنت في غرفة جلوسك واشتراها جدك في هذه اللحظة. إن كل هذه الأحداث حاضرة في ذاكرة الله تعالى. وأكثر من ذلك فإن ما مرت به هذه الساعة في الماضي وكذلك ما ستمر به في المستقبل. بالتأكيد هو "المستقبل" بالنسبة إليك. فهو بعلم الله ومحفوظ في نظره. إن الطريقة التي ستوضع فيها هذه الساعة في منزل ابنك بعد أربعين عاماً، وتلف هذه الساعة خلال ثلاثمائة عام كل ذلك قد ورد في أم الكتاب.

ص 72

وتشير الآية التالية: [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً]. [سورة طه: 110]. إلى هذه الحقيقة (الله خير من يعلم حتماً)، لأن الله يعلم كل مخلوق دقيقة بدقيقة، فهو يعلم أحوالهم السابقة وكذلك اللاحقة، أي بكلمات القرآن: [مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ]. وفي جميع المراحل. ويذكر الله في آية أخرى بأن كل شيء يتم بعلمه: [إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأرضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ]. [آل عمران: 5].

ص 73

كل الأحداث تجري في هذه اللحظة تماماً!

إن تقديم مثال سيقودنا إلى فهم أفضل لحقيقة أن كل حادثة تتم في لحظة واحدة في نظر الله تعالى. لنفترض أن أمامك صورة لمدينة كبيرة، حيث تبدو الشوارع والأبنية إلى جانب بعضها البعض، والناس يظهرون بوضوح في الصورة. ولنتخيل أيضاً أن هناك رجلاً يحاول الوصول إلى الطرف الآخر من المدينة. فمن وجهة نظر هذا الرجل هناك مسافة ما لابد من عبورها من أحد أطراف هذه المدينة إلى الطرف الآخر في زمن محدد. وبالتأكيد فإن وصول الرجل إلى هدفه يحتاج بعض الوقت. ومن غير المحتمل أن يوجد الرجل في الوقت نفسه في مكانين مختلفين. ومع ذلك فالحالة تختلف بالنسبة إلى شخص مثلك ينظر إلى

هذه الصورة من الخارج. تستطيع أن ترى من النظرة الأولى تفاصيل المدينة في لحظة واحدة. وأكثر من ذلك فإنك لن تحتاج إلى زمن محدد للقيام بذلك.

إن هذه الحالة التي بيناها في المثال السابق تنطبق أيضاً على أشخاص مثلنا محدودين ببعد معين. بالنسبة إلينا يصبح الوصول إلى الهدف ممكناً فقط مع مرور الزمن وببذل بعض الجهد. من ناحية ثانية، فإن ذلك يحتاج فقط إلى لحظة واحدة بالنسبة لله الذي خلق كل الأبعاد، لكي تأخذ كل الأحداث مجراها. والحقيقة المهمة الثانية هي تزامن هذه الأحداث مع بعضها البعض. وكما ذكرنا من قبل، فإن من غير الممكن في حقّ الله الحديث عن فكرة الزمن، لأن كل شيء يحدث وينتهي في لحظة واحدة.

ص 74

لقد خُلق النبي آدم من طين في هذه اللحظة بالذات، والملائكة يسجدون أمام آدم الآن. وكذلك أرسل الآن إلى الأرض. وأكثر من ذلك فإن "اللحظة" التي نتحدث عنها هي "اللحظة" التي تقرأ فيها أنت هذه السطور.

ومثال آخر سيوضح أكثر هذا التفسير. دعونا نفكر في النبي موسى عليه السلام، فاللحظة التي قررت فيها أمه أن تضع الطفل موسى في صندوق وتلقيه في الماء لاتزال موجودة الآن. فهذه اللحظة لم تختف أبداً وستستمر في الوجود إلى الأبد، واللحظة التي ذهب فيها موسى إلى فرعون وأبلغه رسالة الله لاتزال موجودة. ففي الواقع، في هذه اللحظة تماماً، يدعو موسى فرعون لقبول دين الحق. إنها حقيقة أيضاً تلك اللحظة التي يتلقى فيها موسى الوحي من الله تعالى في الوادي المقدس طوى. ففي هذه اللحظة أيضاً يهرب النبي موسى مع قومه من فرعون، وفي هذه اللحظة ينشق طريق في البحر الأحمر للنبي موسى وقومه ليعبروه. وستبقى في ذاكرة الله إلى الأبد تلك اللحظة عندما انشق البحر.

إن اللحظة التي حملت فيها مريم، واللحظة التي وضعت فيها النبي عيسى عليه السلام تحت شجرة النخيل، واللحظة التي عادت فيها إلى أهلها، واللحظة التي تحدث فيها النبي عيسى عليه السلام إليهم وهو لايزال في المهد، وكذلك

اللحظة التي سأل فيها تلاميذه "مَنْ أَنْصَارِي إِلَى الله ؟"، ثم قام بإرادة الله. كل هذا يحدث في هذه اللحظة. وبالفعل فإن الأحداث القديمة ليست هي فقط المألوفة بالنسبة إلينا بل أيضاً الأحداث التي نعرفها لأنها ستحدث في المستقبل، وهي في الواقع تحدث في هذه اللحظة.

إن كل ثانية قضاها النبي عيسى عليه السلام في هذا العالم ونقل رسالة الله إلى تلاميذه وعودته إلى الأرض، وكل خطبة دعا فيها الناس إلى طريق الله، ثم موته وبعثه يوم القيامة وكذلك اللحظات التي سترحب فيها الملائكة به وهو يدخل الجنة، كل ذلك يحدث فعلاً في هذه اللحظة.

ص 75

والشيء نفسه أيضاً صحيح بالنسبة إلى من عاشوا قبل 3000 عام. إن الرجل الذي جلس تحت شجرة وقت الظهيرة عام 3000 ق.م. يتأمل خنفساء وقفت على إصبعه فيمجّد خلق الله تعالى، هو يقوم بهذه الأعمال فعلاً في هذه اللحظة. وأكثر من ذلك، ففي اللحظة التي تعود فيها الخنفساء إلى عشها، وكذلك جميع المراحل التي مرت بها منذ أن كانت بيضة وحتى موتها، كلها محفوظة في ذاكرة الله عز وجلّ. وبالتالي كل هذا حدث في لحظة واحدة، في اللحظة نفسها التي تقرأ فيها هذا المقطع.

إن كل هذه الأمثلة تنبه، مرة أخرى، إلى حقيقة هامة: أن كل اللحظات والأحداث والكائنات الحية التي وُجدت في الماضي لم تنقطع عن الوجود ولن تختفي أبداً. إن الفيلم الذي نشاهده في التلفاز مسجل على شريط والصور التي تؤلف الفيلم موجودة سواء شاهدناها أم لم نشاهدها. والشيء ذاته صحيح بالنسبة إلى كل شيء يتعلق بالحياة المتصلة بالماضي أو المستقبل.

ص 76

ومن الضروري استيعاب هذه النقطة جيداً. إن جميع هذه الأحداث لا تشبه الذاكرة أو الذكريات أو الصورة. كلها حية، وكل شيء قد حفظ كما هو، إنها كتلك اللحظة التي نعيشها الآن. إننا ندركها كحوادث من الماضي فقط لأن الله

لا يمنحنا هذه الإدراكات. وعندما يشاء الله، يستطيع أن يعرض لنا هذه الصور، ويجعلنا نصدق بأننا نعيشها في الحقيقة.

الماضي والحاضر والمستقبل: هي في الحقيقة زمن واحد

وكما أوضحنا فإن جميع الحوادث التي جرت على الأرض، هي في نظر الله حدثت في لحظة واحدة. فالأحداث التي مرت بالأنبياء موسى وإبراهيم ونوح وسليمان ومحمد عليهم السلام، وكل الأنبياء الآخرين تمت في الوقت الذي نعيشه فعلاً. أيضاً فإن تجارب أحفادنا، وكذلك جميع الناس، الذين سيعيشون حتى يوم الحساب، ستأخذ مجراها في وقت واحد وفي اللحظة نفسها.

ويأتي على رأس هؤلاء الناس أولئك المؤمنون الموجودون الآن في الجنة، بينما يعاني الكافرون الآلام في جهنم.

إن ما مر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يبقى أيضاً إلى الأبد في نظر الله. وهذه الأحداث تبدو لأحاسيسنا وكأنها حدثت منذ 1400 عام. ومع ذلك، فالحقيقة أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، في هذه اللحظة بالذات، يصعد إلى السماء، ويختبئ في الغار مع الصدّيق. ومرة أخرى، وفي هذه اللحظة ينقل رسالة الله إلى الكفار. وفي الواقع، فإن هذه ليست أحداثاً جرت في الماضي. بل على العكس هي، حوادث قدر لها أن تدوم إلى الأبد. والسبب في أننا لا نرى ولا نشاهد ولا نجرب هذه الأحداث، هو ببساطة لأنها ليست حاضرة في ذاكرتنا.

والشيء نفسه ينطبق على جميع الأحداث التي جرت والناس الذين ظهروا على الأرض عبر التاريخ. إن فلاسفة اليونان القديمة والسومريين الذين اخترعوا الكتابة المسمارية، وكليوباترا ملكة مصر، وفناني عصر النهضة، وعلماء القرن التاسع عشر وزعماء الديكتاتورية في القرن العشرين وجميع الناس، وحتى جدك وجد جدك وأنت في الحقيقة تعيشون في اللحظة نفسها.

ص 77

لـن يختفـي أي مـن هـذه الأحـداث، إنهـا مسـتمرة في الوجـود دون تغيـير. الصـليبيون، والهجـرات الكبـيرة والحـرب العالميـة الأولى والثانيـة، رغـم أنهـا تبـدو حوادث تاريخية، هي بالفعل أحداث تجري في هذه اللحظة وستستمر كذلك إلى الأبد. أيضاً الحضارة المصرية والمكسيكية القديمة واليونانية والأناضولية كلها توجد في اللحظة نفسها.

إن المطـر الـذي روى حقـل رجـل كـان يكسـب رزقـه منـه، كمـزارع عـام 1000 ق.م في حوض الرافدين، واللحظة التي تُسقى فيها هذه المزارع بالمطر، كلهـا موجـودة الآن في علـم الله سـبحانه. والعنكبـوت الـذي نسـج شـبكة في أغصان شجرة صفصاف خلال عصر الأكاديين، هو ينسج أيضاً شبكته الآن. والعنكبوت نفسـه ينتظر فريسته في زاوية شبكته في هـذه اللحظـة. وأكثـر مـن ذلك، ففي اللحظة نفسها التي تحاول فيها رؤية هذا العنكبوت في عقلك، يبدأ بوضع البيض، فيحمله على ظهره ويعتني به. أيضاً، وفي اللحظة نفسها، تفقس البيوض وتخرج صغاره.

ص 78

لا يوجـد شـيء مهمـل أو قيـد النسـيان؛ إن مخلوقـات الله تخـدم أغراضـاً مختلفة.. وبالتالي لا شيء يختفي أو يتلاشى أو يضيع. وإذا كان الناس لا يرون أو لا يعرفون أو لا يمارسون هـذه الأحـداث المختلفـة فـإن ذلـك لا يعـني أنهـا لا تحـدث الآن. وبمـا أن الله غـير محـدود بـزمن فـإن كـل شـيء قـد بـدأ وانتهـى الآن بمعرفته. وبما أن الفرد محدود بزمن فإن تجاربه تبدو مرتبة كسلسلة من الأحداث. وهـذا الترتيـب يبـدو ظـاهرياً أنـه يسـتند إلى مقيـاس الماضـي والحاضـر والمسـتقبل. وكما ذكرنا سابقاً، فإن الأحداث التي لم تجر بَعْدُ فهي لم تمارس بالنسبة لنا بعد. إن الماضي والمستقبل والحاضر كلها شيء واحد بالنسبة لله. وهذا هو السبب في معرفة الله لكلّ شيء. وهذه الحقيقة وردت في الآية الكريمة التالية:

[يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ] [سورة لقمان:16].

حياتك هي أيضاً لحظة واحدة

لفهم هذه الحقيقة، ليس هناك مبرر للتفكير فقط في الأحداث أو التأمل في ممالك التاريخ. إن حياة الإنسان التي يفترض أنها طويلة، هي ليست إلا لحظة واحدة. فاللحظة الأولى التي ولدت فيها، واللحظة التي حضنتك فيها أمك لأول مرة لاتزال موجودة. وهذا الاختبار الوحيد أو تلك الحادثة ستستمر في الوجود إلى الأبد لأنها موجودة في علم الله. ومع ذلك، وكما ذكرنا من قبل، بما أن كل المعلومات الموجودة لديك عن العالم قد انتقلت إليك بواسطة حواسك الخمس، وبما أنك تعتمد على حواسك ولا يوجد في ذاكرتك معلومات تتعلق بهذه الصورة فإنك لا ترى هذا المنظر. وهذا ينطبق على كل شيء تمارسه في الحياة. فاليوم الذي التحقت فيه بالمدرسة الابتدائية، وأحد أعياد ميلادك التي احتفلت بها، وحادثة جرت لك، واليوم الذي تخرجت فيه من المدرسة الثانوية، ويوم زواجك، وكذلك نقاط تحول مشابهة في حياتك، كل منها في نظر الله مجرد لحظة، لم يختف أي من هذه الأحداث، وستبقى دائماً.

ص 79

وكذلك، فإن المذاق الحلو الذي اكتشفته في قطعة الشوكولاتة عندما كان عمرك خمس سنوات، والقلق الذي شعرت به عندما استيقظت في أول يوم تذهب فيه إلى المدرسة الابتدائية، والسأم الذي شعرت به في أحد الدروس عندما كنت في الثانوية، والمعادلات الصعبة التي كتبها أستاذ الرياضيات على السبورة، والألم الذي شعرت به عندما فقدت صديقاً عزيزاً في حادث سير، والفخر الذي شعرت به عند انتهاء دراستك الأكاديمية، وتوهج السعادة الذي شعرت به عندما نجحت في الحصول على شيء حلمت به لسنوات، وباختصار، جميع اختباراتك ومشاعرك تبقى كما كانت، فهي لم تحفظ بوضوح في ذاكرتك. إنك تدرك ما حفظ في ذاكرتك كذاكرة أو الأحداث الماضية. ورغم وجودها الآن، فإن الدماغ لا يدرك هذه المشاهد، باعتبار أن الإنسان يختبر بهذه الطريقة على الأرض. وبما أن الناس يؤمنون بأنهم ملزمون بانسياب زمني ثابت ولا يتغير

يمتد من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، فإنهم يفترضون أن حياتهم مقسمة إلى مراحل واضحة وهي الماضي والحاضر والمستقبل. وهذا يضع عائقاً كبيراً أمامهم ليستطيعوا فهم الحوادث الدقيقة كالوجود والحياة الآخرة، ومتى وأين الجنة والنار ومتى يوم الحساب. إنهم لا يستطيعون ربط مفهوم الزمن بعلم الله مع مفهوم الزمن الذي يربط الناس. ومع هذا وبما أننا نعلم أن كل كائن حي وكل حادثة وكل شيء قد خلق للأبد جزءاً جزءاً تماماً مثل الأجزاء التي تشكل شريط الفيلم، ووضعت فيه الحياة الوقت نفسه، فإن ذلك سيسهل علينا فهم هذا الموضوع.

ص 80

ففي نظر الله تعالى كل شيء تم وانتهى. يتوهم بعض الناس معتقدين أن الله قد خلق الكون ومنح الإنسان مدة من الحياة وينتظر اختبارهم (إن الله بالتأكيد فوق كل هذا). وهو سينتظر حتى نهاية الكون. ولكن ذلك شيء مستحيل. فالانتظار يعبر عن ضعف، وهي صفة خاصة بالإنسان، وبالتأكيد فالله غير محدود بهذا الضعف. إن صفة الله القدّوس، التي يقدم الله بها نفسه في القرآن، تعني "أنه بعيد عن كل خطأ، وعجز، وعن أي نوع من النقص". ولذلك فإن الله يعلم ماضي وحاضر كل الناس، وكذلك تجاربهم بكل التفاصيل. ولكن الإنسان في هذه الحياة، وفي ميدان هذا الاختبار، يفترض أن الزمن خط مستقيم له بداية ونهاية. ومع ذلك، وكما جاء في هذا الفصل، لا يمكن الحديث عن مفهومي الماضي والحاضر. فكل شيء، وكل الناس وجميع الكائنات الحية تعيش في وقت واحد معاً. إن كل العصور والدقائق والثواني، وحتى الأيام والساعات واللحظات جميعها، تحدث في الوقت نفسه. ورغم أن الإنسان غير قادر على رؤية ذلك بسبب القدرة المحدودة لحواسه، فإن هذه الحقيقة واضحة. في الفصل الوارد تحت عنوان "النسبية في القرآن" تم تقديم أمثلة عديدة لتوضيح الفرق بين الزمن الذي يحد الإنسان والزمن عند الله تعالى. ويلفت الله نظرنا لهذا الموضوع في الآية التالية:

[وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ] [سورة الحج: 47].

إن الله الحسيب يعلم بالتفصيل حساب الأشياء التي يفعلها الناس في حياتهم. وإذا تذكر أحدنا أن كل شيء يقوم به هو موجود لا يمكن أن يختفي، فإنه سيفهم صفة الله هذه بصورة أفضل. إن معرفة الله بكل شيء وكل التفاصيل وكل حادثة تمر قد أشارت إليها الآية التالية:

ص 81

[إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ. وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] [سورة لقمان: 34].

وهذا هو السبب الرئيسي الذي يدعو المؤمنين لتقدير عظمة الله والخضوع له والثقة به. إن عظمته تذكرهم ببساطة كم هم ضعفاء وبحاجة إليه.. إنهم يعرفون ضعفهم بالمقارنة مع قوته.وقد أشار القرآن إلى صفة سمو الأخلاق لدى المؤمنين في الآيتين التاليتين:

[قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] [سورة التوبة: 51].

[قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلا مَا شَاءَ اللهُ..]، [سورة يونس: 49].

إن الناس الذين يؤمنون فعلاً ويرددون هذه الكلمات هم الذين يستطيعون إدراك صفات الله. ولهذا يخضعون بقلوبهم بشكل كامل لله تعالى.

الموت لا يعني الفناء

والموت أيضاً من المواضيع التي يفهمها الناس خطأً. فالشخص الذي يموت يعتبر ببساطة فانياً. لأن معلوماتهم غير كافية بخصوص الآخرة، والحياة الأبدية و الجنة والنار، والناس، بصورة عامة إما لأنهم لا يعتقدون إطلاقاً في البعث بعد الموت أو أن لديهم معلومات غامضة عن ذلك. وبالتالي فإن الغالبية يظنون أنهم فقدوا شخصاً إلى الأبد عندما يموت. وهذا بالتأكيد موقف خاطىء. في الوقت

الذي يولد فيه الإنسان (عندما يأتي إلى عالم الوجود بقدرة الله) تكون حياته الأبدية قد بدأت. والموت هو مثل كل اللحظات الأخرى التي تشكل حياة الإنسان، وهو لحظة واحدة يمر بها، ولكن، في الحقيقة، هذا الإنسان لايزال حياً.

ص 82

إن كل اللحظات قبل الموت وبعده، وكل شيء يتعلق بحياة الإنسان تبقى دون تغيير. فمثلاً بعد موت أحدهم يقول الناس: "من المؤسف موته وهو لايزال صغيراً". بينما جميع التفاصيل المتعلقة بحياة الإنسان وذكريات طفولته وولادته وأسرته ما تزال موجودة. إنها لا تتلاشى ولا تندثر. وكل التجارب محفوظة. وكشرط أساسي لاختبار هذا العالم فإن هذه الذكريات تمحى ببساطة من الذاكرة، ومع ذلك، فإن ذلك لا يعني أبداً أنها غير موجودة.

الولادة والحياة والموت تتم وتنتهي في نظر الله في الوقت نفسه. والشيء نفسه ينطبق على كل بني البشر. فالبشر كلهم يأتون إلى الوجود ويموتون في اللحظة نفسها. والجميع يبعثون ويذهبون إلى الجنة أو النار. وهكذا فلا أحد يموت ولا أحد يهمل، كل الناس هم على قيد الحياة إلى الأبد. ويقضي الإنسان جزءاً فقط من حياته الأبدية في هذا العالم، وخلال هذه الفترة من المعلوم إلى أين سيذهب إلى الجنة أم جهنم. في هذه اللحظة تماماً بعض الناس الذين يعيشون الآن في هذا العالم هم في الجنة، بينما الآخرون هم في جهنم. ويؤكد القرآن على هذه الحقيقة في عدد من الآيات المتعلقة بالجنة وجهنم، ويشار إلى الحياة الآخرة إما بالزمن الحاضر أو الماضي مما يلفت النظر إلى حقيقة أن كل هذه الأحداث تأخذ مجراها في لحظة واحدة:

[إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأرائِكِ مُتَّكِئُونَ]. [سورة يس: 55. 56].

[وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأرض نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى

الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. [سورة الزمر: 73. 75].

[وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً]. [سورة الكهف: 53].

ويسود في حياة البشر سر غامض آخر. فبينما يحزن الناس لموت شخص ما، فإنهم لا يعتبرون أنهم هم أنفسهم قد ماتوا بل بعثوا. إن ولادة وموت شخص يحدثان بالتزامن معاً. وحتى التفاصيل التافهة حول حياة كل الناس وموتهم وبعثهم وحياتهم الأبدية كلها محفوظة في نظر الله. وبكلمات أخرى، فإن كل شيء يجري في هذه اللحظة. إن الموت والبعث ليسا في الحقيقة أمرين يحدثان في أزمان واضحة.

يولد الناس في الخلود وكذلك يموتون ويبعثون، وفي الحقيقة فهم في هذه اللحظة أحياء. ففي اللحظة التي يخلق الله فيها الإنسان يصبح حياً أبدياً. وبعبارة أخرى يبدأ الإنسان حياته التي لا تنتهي حيث يصبح حياً إلى الأبد. وفي الوقت نفسه، فإنه يشهد أيضاً موته. فهو يشهد موته تماماً كما يرى نفسه حياً خلال حياته، ولكن لمرة واحدة فقط.

والمثال التالي يوضح لنا هذا الموضوع أكثر، إذ يخبرنا الله في القرآن بأن النوم هو شكل من أشكال الموت. وهكذا فإن الإنسان يشهد موته عندما يذهب إلى النوم ويشهد بعثه عندما يستيقظ في الصباح. وهذه الحقيقة واضحة في الآية التالية:

[اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]. [سورة الزمر: 44].

ص 42

إذن، فالإنسان يشهد موته وبعثه بصورة متواصلة طول حياته، وبصورة

مشابهة سيرى أيضاً موته الحقيقي. وبالتالي فإن ولادته وموته وبعثه وكذلك مقره الدائم كلها معروفة، والإنسان حي دائماً في نظر الله. كل هذه الأحداث قد جرت وانتهت في نظر الله. ولهذا فإن الموت بالطريقة التي يفهم بها بصورة عامة ليس الانتهاء أو الاندار.

ص 84

وإذا أخذت هذه الحقائق في الحسبان فإن الحزن على شخص متوفٍ والشعور بالأسى لموته يبدو غير معقول. إن الشاب أو الطفل أو الشخص الذي يتمتع بصحة جيدة إذا مات لا هذا يعني التلاشي، فكل واحد موجود في أفضل أوضاعه. إن كلاً منهم حي في نظر الله. وهذا دليل واضح على عظمة الله التي نص عليها القرآن أيضاً:

[اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ]. [سورة البقرة: 252].

حياة الحيوان أيضاً هي في لحظة واحدة

في الوقت الذي وجدت فيه الحياة على الأرض، فإن جميع المراحل التي مر خلالها الحيوان قد حفظت في نظر الله. فمثلاً ولادة البطريق وموته وصيده، هذا الطائر الذي عاش في القطب الجنوبي ومات قبل 250 عاماً، هو موجود الآن في نظر الله وسيستمر في الوجود إلى الأبد. وبالصفات نفسها تحدث كل هذه الأحداث في هذه اللحظة.

والشيء نفسه صحيح بالنسبة إلى الحيوانات التي لم نرها أبداً. مثل الجمل الذي عاش ومات منذ 700 عام، وتمساح الأمازون في القرن الخامس قبل الميلاد، والأفعى التي ستكسر قشر بيضها عام 2200 أو الكنغر في أوستراليا اليوم، وفي الحقيقة فإن كل هذه التفاصيل والأحداث المتعلقة بالحيوانات المذكورة، وكذلك المتعلقة بكل الحيوانات الأخرى في كل الأزمان تحدث في وقت واحد

معاً، أي، في هذه اللحظة تماماً. فكل لحظة بالنسبة إلى هذا الجمل بما فيها اللحظة التي ولد فيها، واللحظة التي حمل فيها أثقالاً في الصحراء واللحظة التي شرب فيها الماء، كلها موجودة في نظر الله وعلمه. في هذه اللحظة بالذات فإن هذا الجمل لايزال يشرب الماء ولايزال يحمل الأثقال.. إن كل الجِمال التي عاشت عبر تاريخ العالم، وكل لحظة قضتها في هذا العالم ما تزال على قيد الحياة.

ص 85

وربما يصعب على الدماغ البشري استيعاب ذلك، عندما نفكر أن هناك تريليونات من الحيوانات التي تعيش على هذا الكوكب. ومع ذلك فإن سر قدرة الله موجود هنا. إن الله العليم يعرف كل شيء. فالله يعلم كل شيء عن كل مخلوق سواء أكان على قيد الحياة أم فاقد الوعي أم ميتاً. وهذه الحقيقة العظيمة موجودة في الآية التالية:

[لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا]. [سورة مريم: 94].

إن موت الحيوانات لا يختلف عن موت البشر. وكما هو الحال مع البشر فإن لحظات حياة الحيوان لا تختفي بعد موته أيضاً. فالموت المفاجئ لحيوان منزلي كالعصفور مثلاً، يجعل الإنسان يتألم. ومع ذلك، فإن هذا العصفور ليس ميتاً، إنه موجود في ذاكرة الله وفي أحسن حالاته. إن الزمن الذي قضاه العصفور في البيضة، واليوم الذي جاء فيه إلى بيت أحدهم، والوقت الذي استغرقه وهو صغير حتى تعلم الطيران كلها موجودة في علم الله. وبصورة مماثلة فإن كل لحظة، في نظر الله، من الحياة الماضية لكلب ميت واللحظة التي مات فيها كلها معروفة. كل اللحظات المرتبطة بحياة الكلب الماضية، عندما كان جروا، وعندما نبح، ومشى وشرب الماء، وجميع المراحل الأخرى التي لا تتوفر لدى صاحبه، موجودة في نظر الله.

ص 86

والتفكير ذاته ينطبق على جميع الحيوانات. فقد جاء في سورة الكهف ولادة كلب وموته، وكل لحظة قضاها الكلب أمام الكهف موجودة في ذاكرة الله.

وبصورة مشابهة فإن الجمل الذي أتى به النبي صالح عليه السلام، واللحظة التي ذبح فيها قومه الجمل، رغم تحريم الله لذلك بصورة واضحة، هي موجودة في ذاكرة الله. وبصورة مماثلة اللحظة التي قتل فيها الوحش بوطْئِه بالأقدام تبقى في نظر الله. إن موت الوحش استغرق لحظة واحدة، وكغيره من الكائنات فهو ليس سوى صورة، وكل صورة تبقى في نظر الله. وإذا كنا لا نرى أي شيء يتعلق بالوحش بعد موته فهذا لا يعني أنه اختفى. وكذلك موت حشرة ينتهي أيضاً بلحظة واحدة. ومثل كل الكائنات فالأمر بالنسبة إلينا مجرد إدراك، وكل صورة من حياة الحشرة تبقى دون تغيير. وإذا كنا لا نرى شيئاً يرتبط بها فإن ذلك لا يعني أنها اختفت. لقد اختفت من ذاكرتنا فقط. إذا تم إحياء صورة هذه الحشرة ثانية وبرزت لحواسنا الخمس فإننا يمكن أن نراها ثانية في علم الله.

والشيء ذاته صحيح بالنسبة إلى فراشة ملونة رآها رجل خلال فترة الثورة الفرنسية، فمن المحتمل أن يكون هذا الرجل قد شعر بالحزن لتلك الفراشة الجميلة عندما رآها قد أصبحت فريسة لعصفور. ولكن هذه الفراشة بكل جمالها المتناسق وألوانها هي الآن موجودة في نظر الله. إن كل لحظة بالنسبة إلى الفراشة، وكل لحظة فتحت فيها جناحيها وأغلقتهما وكل زهرة مرت بها كل ذلك معلوم في نظر الله. وأكثر من ذلك، فإن هذه الفراشة تطير الآن وتأكل وهي الآن تموت.. وبالنتيجة فإن هذه الفراشة حية وستبقى حية إلى الأبد. إن الرجل شعر بالحزن لموت هذه الفراشة، وأكثر من ذلك، فإن كل لحظة في حياة هذا الرجل موجودة إلى الأبد.

ص 87

وهذه الحقيقة تؤكدها الآية التالية:

[وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ].[سورة النمل:75].

هذه التفسيرات تقدم أجوبة واضحة لبعض الأسئلة التي تُسأل كثيراً، مثل "هل للحيوانات روح؟"، "ماهي نهايتها؟". إن هذه الكائنات موجودة في علم الله تعالى، وهذا هو الأمر المهم. وطالما أن المعلومات عن أي حيوان مسجلة في

نظر الله (تذكر بأنه حين خلق هذا الحيوان فقد تقرر مصيره إلى الأبد) فهو حي. ومع ذلك، فإن ما تفيده كلمة "حي" هنا هي أن الله خلقه بشكل حسي. وبهذا المعنى فإنه لا يوجد أي كائن حي آخر يشبه صفات الله "الحي". وبهذا المعنى فإن المهم فعلاً ليس إن كان للحيوان روح أم لا، ولكن المهم هو إن كان قد خلق في الذاكرة أم لا. إذا أراد الله فإنّ هذا الكائن سيوجد في ذاكرتنا، وإلا فلا. وإذا نزع الله صورة حيوان ما من ذاكرتنا فهذا يعني أنه مات. وفي كل الأحوال، إذا أعادها الله ثانية فهذا يعني أنه أصبح حياً. ولابد أن نتذكر بأن هذا الحيوان باقٍ في ذاكرة الله إلى الأبد، باعتبار أن الله غير محدود بزمن. لا نستطيع الحديث عن الماضي والحاضر والمستقبل في السرمدية. فالوقت كله لحظة واحدة.

الأزهار لا تذبل أبداً والفاكهة لا تختفي أبداً

الله هو الأحد الذي يحتفظ بالمعلومات المتعلقة بكل شيء. وكما جاء في الآية السابقة فإن كل الأوراق والحالات المختلفة التي تمر بها خلال حياتها يعرفها الله منذ أن خلق الكون، فمثلاً المعلومات بخصوص الشجرة التي كبرت في بابل – وحتى كل ورقة من أوراق هذه الشجرة – محفوظة في عند الله عز وجلّ. وأكثر من ذلك فإن كل مراحل هذه الورقة وحتى سقوطها من الشجرة محفوظة في ذاكرة الله تعالى. إن جلوس رجل تحت شجرة بابل هذه وهو يراقب سقوط الورقة أيضاً بقيت محفوظة دون علمه. وكل الثواني التي قضاها وهو يراقب هذه الورقة لم تختفِ ولم تبق في الماضي.

ص 88

والاحتمال الأغلب هو أن سقوط ورقة واحدة من شجرة يمكن إدراكها كحادثة لا أهمية لها.. مع ذلك فإن سقوط الأوراق كلها التي لم تبقَ أبداً عبر التاريخ هي أيضاً في ذاكرة الله.

وقدر وردت هذه الحقيقة في آية قرآنية على النحو التالي:

[.. وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ]. [سورة الأنعام: 59].

والشيء الوحيد الذي يجب أن يفعله من يفهم الحقيقة هو الخضوع لخالقه. إن كل الحيوانات والنباتات والبشر، وباختصار، كل الكائنات الحية والحوادث قد خلقها الله وكل ما يتعلق بها موجود في ذاكرة الله كما جاء في الآية التالية:

[يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأرضِ...]. [سورة السجدة: 5].

والحقائق نفسها تبقى صحيحة بالنسبة إلى الأزهار. وعلى عكس الاعتقاد السائد فإن الخشخاش لا يختفي عندما يذبل: إنه ببساطة يستمر في الوجود في نظر الله. وكما هو واضح في الآية: [..وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ].[سورة يس:79]. فإن كل مراحل تطور الزهرة، وبرعمتها، وعندما تزهر بالإضافة إلى حالة ذبولها، كلها موجودة، إلى جانب ذلك. وكما قلنا من قبل، فإن التغييرات المتعاقبة في نبتة الخشخاش، رغم أنها تبدو منفصلة فهي في الحقيقة مراحل تحدث بصورة متزامنة معاً. وكل التفاصيل المتعلقة بزهرة خشخاش واحدة محفوظة في نظر الله، وعلى أي حال، فإن الله يمنح هذه المعلومات إلى من يريد. فكل الصور الخاصة بنبتة الخشخاش تختفي من ذاكرة من يراها. ومع ذلك فإن كل صورة تبقى إلى الأبد في ذاكرة الله تعالى.

ص 89

إن الله "المحصي" الذي يعلم عدد كل شيء، وحتى الأشياء التي لا يمكن تعدادها، فهو يعلم عدد كل الأوراق التي تسقط. إلى جانب ذلك، فإن جميع النباتات والأوراق والأزهار، وجميع اللحظات منذ ولادتها وحتى موتها ونموها وجفافها وسقوطها، وكذلك كل قطرة مطر تسقط عليها، هي كلها في علم الله. كل هذا وكل اللحظات لكل الكائنات الحية الأخرى قد خلقت في لحظة واحدة وعلى سطح واحد.بمعنى أنها قد خلقت الآن. وبالتالي فعندما تجف ورقة وتسقط، فإن هذا لا يعني أنها قد ماتت، إنها فقط زالت من ذاكرتنا. ومع ذلك، فإنها ربما ما تزال حية في ذاكرة شخص آخر. فإذا منح الله صورتها إلى ذاكرة شخص آخر، فسيظل يرى هذه الورقة بالذات. والشيء نفسه صحيح بالنسبة

إلى زهرة بنفسج في أصيص للزهور. فإن مرحلة البرعمة، واللحظة الأولى التي تذبل فيها وتسقط إلى الأرض، كلها موجودة في نظر الله.

وبكلمات أخرى فإن زهرة البنفسج تزهر في هذه اللحظة تماماً. ومع ذلك فإنها تذبل في هذه اللحظة أيضاً. ولا يوجد فاصل زمني بين الوقت الذي تزهر فيه ووقت ذبولها. إن مفهوم الزمن موجود فقط بالنسبة إلينا، فذاكرة الله فوق كل الأزمنة. وإذا تذكرنا هذه الحقيقة فإننا ندرك بأن كل أزهار البنفسج التي وجدت عبر التاريخ تزهر في وقت واحد معاً، تماماً كما تذبل في الوقت نفسه. إن كل اللحظات في حياة نبتة صغيرة في أدغال أفريقيا التي عاشت قبل 1500 سنة هي مسجلة أيضاً في أم الكتاب. وبصورة مشابهة فالشجرة التي أقسم المؤمنون تحتها بالولاء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل 14 قرناً، ونتاش حبوب هذه الشجرة وامتداد براعمها، وكذلك جفاف الشجرة قد حدث كله في هذه اللحظة. إن كل لحظات ورقة العشب التي تنمو على أي جبل فوق سطح الأرض، أو الصبار في أية صحراء، أو الشجيرة التي تنمو في مكان بعيد من العالم، أو قطعة من الثلج في التوندرا أو زهرة الربيع التي تنمو على جانب الطريق، كلها موجودة في ذاكرة الله. وعلى الأغلب لا يوجد أحد على الأرض يعلم بهذه النباتات، ومن الآن فصاعداً لن يستطيع أحد تمييزها. ومع ذلك فالله يعرفها كلها.

[...لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأرضِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ]. [سورة سبأ: 3].

[إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إلا بِعِلْمِهِ]. [سورة فصلت: 47].

وقد أكدت آية أخرى على الحقيقة نفسها:

[يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]. [سورة سبأ: 2].

ولكي نستوعب هذه التفسيرات بصورة أفضل يمكن أن نفكر في الفاكهة..

إن طعم موزة ولونها ورائحتها ونضجها، هذه الموزة التي تنبت في أفريقيا كل ذلك موجود في نظر الله.وحتى قبل زراعة بذرة شجرة الموز في التربة، ولحظة قطفها من الغصن، والشخص الذي يقطفها والزمن الذي يستغرقه أكلها كل ذلك يعلمه الله. ويخبرنا الله عن هذه الحقيقة في الآية التالية:

[وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ]. [سورة هود: 6].

إن كل مرحلة تمر بها الموزة، من لحظة قطفها حتى أكلها موجودة في ذاكرة الله. وربما تبدو الفترة طويلة منذ أن تزهر الموزة لأول مرة على غصنها وحتى اللحظة التي تؤكل فيها. وبكلمات أخرى يمكن أن يفترض أحدنا أن الموزة قد وجدت لفترة طويلة جداً. فهذه الثمرة نضجت ثم قطفت من على الغصن. ثم مرت بعدة مراحل كالتغليف والشحن والتخزين والتوزيع والتسليم وأخيراً البيع.

إن أحد أفراد أسرة الشخص الذي اشترى هذه الموزة أو أحد الزوار سيأكلها على الأغلب. ومع ذلك، كما أكدنا في مواطن سابقة، فإن تسلسل هذه الأحداث يدركها الإنسان، فالكائن محدود بزمان ومكان. فحياة الموزة كلها في نظر الله تتم في لحظة واحدة. فالموزة تنمو في هذه اللحظة وتؤكل ثانية في هذه اللحظة. ومع هذا فإن الموزة ذاتها قد قطفت من على الغصن تماماً كما جرى تحميلها في العربة الآن.

ص92

ولنكرر، إن حياة هذه الموزة، وحياتك، وكذلك حياة يوليوس قيصر والاسكندر الكبير، أو حياة أديسون كلها تمت في اللحظة نفسها. والمعلومات عن كل الفواكه والبشر والحيوانات التي عاشت عبر التاريخ موجودة في ذاكرة الله.

إن كل هذه الحقائق مفهومة بالتأكيد بالنسبة إلى أولئك الذين يتأملون بعمق و بإخلاص.

ص 93

نقطة هامة أخرى، وهي أن كل هذه الفاكهة لا تتلف ولا تختفي ولا تندرس. لنفكر في برتقالة نمت في إحدى دول البحر الأبيض المتوسط منذ خمسين عاماً. إن الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذه البرتقالة مقدرة سلفاً، مثلاً: متى ستنمو وعلى أي شجرة وهل ستكون حامضة أم حلوة، وماهو شكلها، ولونها بالضبط، والمكان الذي ستخزن فيه، والعربة التي ستنقلها ومخزن البقال الذي ستباع فيه والزبون الذي سيشتريها.. وربما ستكون منسية في سلة الفاكهة. وفي هذه الحالة فإن مصيرها التعفن، وفي اللحظة التي سيجدها أحدهم سيرميها في سلة القمامة. وكل ذلك مقدر سلفاً. وكما رأينا فإن كل لحظة، في حياة البرتقالة، منذ اللحظة التي تبرعم فيها، ثم تنضج أو تتلف هي موجودة في علم الله إلى الأبد. وذلك لأن الله هو الحي، وهو الموجود. وكل شيء في ذاكرة الله يصبح حياً حين يقول له: "كن":

[وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]. [سورة الأنعام: 99].

ص 94

حتى قطرة الماء لا تختفي

إن ما قيل حتى الآن ينطبق على الماء الجاري. فكل قطرة ماء في جدول أو نبع أو نافورة أو بئر أرتوازي أو شلال محفوظة في علم الله. ولن تختفي أو تضيع قطرة واحدة. وستستمر في الوجود إلى الأبد. وكما هو الحال بالنسبة إلى الكائنات الحية، فكل اللحظات والحالات المرتبطة بها موجودة في ذاكرة الله. إن كل المياه التي جرت منذ أن بدأ الكون، والمياه الجارية حالياً، وكذلك المياه التي ستجري في المستقبل، تجري بالفعل في هذه اللحظة. أي أنها كلها تجري في هذه اللحظة. فالزمن موجود في الأبدية وكل الأحداث تجري في لحظة واحدة.

فالمياه التي جرت قبل 300 عام في نهر المسيسيبي، والمياه التي جرت قبل

500 عام في نهر الراين، وكذلك المياه التي ستجري خلال 200 عام في نهر الفرات هي في الحقيقة تجري كلها في وقت واحد وخلال لحظة واحدة. إنها تجري كلها في هذه اللحظة بالذات. حتى قطرة الماء لا تختفي. إنها في نظر الله تعالى تستمر في الجريان إلى الأبد.

العودة إلى البداية ممكنة أيضاً

بما أن كل شيء موجود في ذاكرة الله فهذه يضعنا أمام سر آخر مهم: من الممكن أيضاً العودة إلى اللحظة الأولى لأية حادثة بإرادة الله. بما أن الإنسان محدود بزمن، فإن هذه الحادثة تبدو مستحيلة بالنسبة إليه. إلا أن الزمن غير موجود عند الله. وكما أكدنا سابقاً، فالماضي والحاضر كلاهما لحظة واحدة، كشريط الفيديو الذي يضم كل الأحداث لحظة بلحظة. وبعد مشاهدة الفيلم يمكن إعادته ومشاهدته مرة أخرى. وبصورة مماثلة، فإن الشيء نفسه ينطبق على الأحداث اليومية: فمن الممكن رؤية أحداث ماضية مرة أخرى بإرادة الله. وبالتأكيد من السهل على الله إعادة خلق حدث ماضٍ.

ص 95

والمثال التالي يمكن أن يساهم في فهم أفضل لهذه الوقائع: حدائق سبأ التي تحولت إلى [جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ]. [سورة سبأ: 160].

وكما جاء في القرآن فهي ما تزال في نظر الله موجودة. إن وضعية الحديقة قبل الخراب وبعده موجودة في ذاكرة الله. منذ آلاف السنين وفي مكان بعيد عن العالم تحولت حديقة جميلة إلى حقل من القمح في نظر الله. والبيت الذي بني في حقل القمح هذا بعد مئات السنين، وكذلك سقوط هذا البيت وإقامة معمل مكانه كله موجود في نظر الله. وأخيراً فإن الوضع الحالي لحقل القمح الآن، في منطقة مأهولة بأقليات، أيضاً موجود في علم الله. إن كل المراحل المتوسطة بين هذه المناظر من المنطقة نفسها أيضاً موجودة في نظر الله إلى الأبد. ويمكن بإرادة الله العودة لرؤية الشكل الأولي لهذه الحديقة.

ص 96

وبالتأكيد فإن كل الكائنات الحية التي وجدت منذ بداية الكون موجودة في علم الله. وكل هذه اللحظات محفوظة. وهذه ظاهرة مثيرة فعلاً. إنها حقيقة تعتبر نعمة لمن يؤمن بالجنة لأنه ربما يرغب في رؤية حياته الماضية أو حادثة تاريخية معينة. ويمكن أن تتسنى للمؤمنين الفرصة لرؤية هذه الأحداث بإرادة الله تعالى.

فمثلاً، يمكن أن يرغب أحدنا في رؤية الأحداث العظيمة، كاللحظة الأولى لخلق الكون والتشكيل الأولي للمجرات، والمراحل الأولية لأول ذرة، والمراحل التي يمر بها الإنسان في رحم أمه، والحرب التي حدثت في الأزمان الماضية، وحياة الكائنات الحية في أعماق المحيطات، وحياة حفيد شخص ما، والقطة التي فقدت لمدة سنوات أو النبتة التي زرعناها ونحن أطفال. كل هذه الأحداث، بكل تفاصيلها موجودة في علم الله. وبهذا الإدراك فإن الإنسان لديه الفرصة لرؤية ما يريده بإرادة الله، وهذا بالتأكيد فضل كبير من الله عز وجل.

المسؤولية التي تستوجبها معرفة هذه المعلومات

المواضيع التي بحثت حتى الآن هي بالتأكيد في غاية الأهمية والتأثير. والناحية المهمة بالنسبة إلينا في هذا الموضوع هي التالية: إن كل لحظة نعيشها وكل وجهة نظر نفترضها وكل كلمة نتفوه بها أو كل فكرة نخفيها محفوظة في علم الله. وحقيقة أن المؤمنين على علم بهذه الحقيقة تتجلى في كلمات النبي عيسى عليه السلام:

ص 97

[وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ]. [سورة المائدة: 116].

هناك مظهر آخر لهذه الحقيقة: إن أي موقف لا يلقى رضا الله تعالى، أو

أي عمل ليس في دائرة القبول من الله تعالى، كل ذلك محفوظ في ذاكرته. إن أي شخص يحاول إنكار أي ذنب فإنه سيخفق لأنه سيرى الصور المرتبطة بهذه الذنوب. وبما أنه لا يوجد شيء يختفي فإن الذنوب أيضاً تحفظ. ولهذا فإن أولئك الذين يخفقون في اتباع حدود الله، أو ينشغلون بأعمال لا ترضي الله- وهم يظنون أن أحداً لا يراهم أو يسمعهم - سيندهشون كثيرا عندما يرون شريط أعمالهم يعرض أمام عيونهم. وسيعرفون حينئذ ان الله كان مطلعا عليهم:

[وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ]. [سورة الأنعام: 3].

ومع ذلك ففي يوم الحساب، اليوم الذي يرى فيه كل واحد أعماله، لن يجد أحد الفرصة لتخليص نفسه لأن الله أكد على ذلك في القرآن وأنه سيحيط في ذلك اليوم بالجميع:

[.. وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ. وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ]. [سورة الزمر: 47. 48].

وسيواجه الكافرون في يوم الحساب شيئاً لم يتوقعوا مواجهته، وسيكشف الله عن كل ذنوب الكافرين التي حاولوا إخفاءها، وكما جاء في الآية الكريمة فسيحيط بهم الآن كل ما كانوا يستهزؤون به خلال حياتهم. إن إيمان المؤمنين بالله واليوم الآخر كان على الدوام موضع استهزاء من الكافرين طوال التاريخ. إنهم يفهمون هذه الحقائق المؤكدة على أنها اعتقادات خاطئة. ولكن لخيبة أملهم فإن هذه الحقائق ستحيط بهم بطريقة لم يتوقعوها، لأنهم هم أنفسهم قد خدعوا.

ص 98

فكل ذنوبهم موجودة في علم الله، وسيكونون يوم الحساب وجهاً لوجه أمام كل ذنب من هذه الذنوب. وفي كل مرة يحاولون إنكارها فإن الصور المرتبطة بذنوبهم ستُعْرض أمامهم. وعندها سيدركون أن معرفة الله تحيط بهم. ويصف الله حالة الكفار هذه:

[اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ]. [سورة البقرة:15].

إن العنف الذي لجأ إليه الكفار أيام النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذنوب التي ارتكبوها أيام النبي نوح والنبي إبراهيم عليهما السلام كلها موجودة في علم الله. إن إلقاء النبي يوسف عليه السلام في قعر البئر من قبل إخوته وإساءة بني إسرائيل لنبيهم موسلم تُنس أبداً، وهي موجودة كلها في لوح الله. وكل شيء، محفوظ بكل تفاصيله التي لم يرها أحد من قبل. وهذه الحقيقة تؤكدها الآية التالية:

[يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً]. [سورة النساء: 108].

والشيء ذاته ينطبق على الكفار في أيامنا هذه. إنهم يفترضون بثقة أن المكائد التي يخططون لها ضد المؤمنين أو ضد الدين ستبقى مخبأة وأنهم لن يواجهوا بها أبداً يوم الحساب. ولكن أصغر مكيدة وكل افتراء يقومون به ضد المؤمنين، كل ذلك موجود في ذاكرة الله. والحقيقة أن هذه الصور قد سحبت من ذاكرتهم ويجب ألا تخدعهم. ومن المحتمل جداً أن يكونوا هم أنفسهم قد نسوا الافتراء الذي نسبوه إلى المؤمنين قبل عقد من الزمان. وهذه الخدع موجودة في ذاكرة الله. ويمكن لهذه الأحداث أن تظهر ثانية في ذاكرتهم بإرادة الله عز وجلّ. ومع ذلك فهم غير مدركين لهذه الحقيقة و[ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ]. [سورة المائدة: 58]، ولا يستطيع الكفار استيعاب قدرة الله. ومع ذلك فإنهم سيرون الحقيقة ويشعرون بالخزي والندم يوم الحساب.

ص 99

إن رد النبي شعيب عليه السلام على موقف كهذا من جانب زعماء قومه يلفت نظرنا إلى الناحية نفسها. وهي أنهم قوم لا يفهمون: [قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِياً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ]. [سورة هود: 91. 92].

عندما يخلق الله يوم الحساب، فإنه سيكون سريعاً للغاية في تصفية حساب الكفار. وعندما يفهم الإنسان هذه الحقائق التي عرضناها من خلال هذا الكتاب . وهي أن كل لحظة من كل شيء مخلوق محفوظة للأبد . وبالتأكيد ليس من الصعب أن نتخيل بأن كل الناس سيجري حسابهم بسرعة في لحظة واحدة. وأكثر من ذلك من المهم ألا نعتبر تلك اللحظة بعيدة جداً لأن هذه اللحظة موجودة الآن. أي أن جميع الناس يقدمون حساب ذنوبهم التي اقترفوها في هذا العالم الآن. ويتصور الكفار أن ما يفعلونه لن يُرى أو يُسمع أو أنه سيُنسى. والحال أنهم سيشعرون بخيبة كبيرة يوم الحساب:

[...وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ]. [سورة فصلت: 22 - 23].

خاتمة

ص 100

لابد أن الشرح السابق قد أعطى القارئ مفهوماً أوضح عن الحقيقة بأن الله محيط بكل شيء، في الأزل وفي الأبد. وفي عالم يشكل مجموعة من الصور، يجري اختبار الإنسان وحده من قبل خالقه. وهذا يترك الإنسان وحيداً مع الله. والآية التالية [ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً]. [سورة المدثر: 11]، هي بيان واضح لهذه الحقيقة. وعندما يستوعب القارئ الحقائق الموجودة في هذا الكتاب، فإنه يفهم بسهولة ما في داخله، فالإنسان يعيش في عالم يتألف من أحاسيس فقط. والله هو الكائن المطلق الوحيد في هذا الكون المؤلف من الإدراكات الحسية. وليس هناك إله غيره. إن كل الأشياء التي يعلق عليها الناس أهمية كبيرة، وينسون الله تعالى من أجلها هي ببساطة لا معنى لها:

ص 101

[ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ]. [سورة لقمان: 30].

يستطيع الفرد أن يرى على شاشة ثلاثية الأبعاد ذات نوعية جيدة عرض فيلمن ولولعه بها لا يستطيع الابتعاد عنها، بحيث يستوعب الحالة التي هو فيها. وباعتباره قد نسي وجود الله وأن الله يختبره، فإنه يشعر بنفسه مخلوقاً مستقلاً ومنفصلاً بعيداً عن الله. وبالتالي يفترض نفسه شخصاً مهماً جداً. إن خبرته في الحياة تبدو حقيقية تماماً. بحيث يعتبر جسمه الخيالي وممتلكاته الخيالية وأسرته الخيالية والأصدقاء الخياليين الذين يراهم وكأنهم حقيقيون على الشاشة وهو يشعر بالفخر بهم. ومع ذلك فقد أوضحت الآية: [وَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا..].[سورة الزخرف: 85]، بأن المالك الوحيد لهذه الممتلكات هو الله. إذا أراد الله سحب الصورة من الشاشة، حتى ولو للحظة، فإن المشاهد سيعلم أنه لوحده. وأكثر من ذلك فإنه سيشعر بالخجل من تفاخره بالصور التي يشاهدها على الشاشة، أي سيخجل من جسمه وممتلكاته وكل شيء آخر يراه في العالم الخارجي.

ص 102

إن من يدرك بحواسه وهو يتأمل هذه الحقائق، يستطيع أن يقدر ضعفه في نظر الله. ويستطيع أن ينال التقدير ويعيش حياة سعيدة إلى الأبد عندما ينحني طائعا لخالقه فقط. في هذه الحالة فقط يأمل من الله أن يريه صور الجنة إلى الأبد. وذلك باعتبار أن هذا العالم مجموعة من الإدراكات تماماً مثل الجنة والنار. إن جميع الصور الذهنية المتعلقة بالجنة والنار محفوظة في ذاكرة الله تعالى . والله يسمح لمن يريد بأن يرى هذه الصور.

ما يتوقعه الله من عباده هو شيء واضح تماماً: تقدير عظمته وأن يتبعوا حدوده خلال حياتهم. ومع ذلك فإن بعض الناس ينسون خالقهم أو ينكرونه وذلك بسبب لا مبالاتهم. وهنا، فإن أحد العوامل الرئيسية التي تضللهم هي

جموع الناس –المفترض وجودهم –والذين يحيطون بهم. إن هؤلاء الناس يظهرون موقفاً متمرداً لأنهم يفترضون أن أصدقاءهم ومن يلوذون بهم وكل من يشاركهم تفكيرهم نفسه، جميعهم موجودين وينسون أنهم جميعاً وحيدون. ولكن لخيبة أملهم، فإن كل واحد منهم وحيد مهما أحاطت به أعداد من الناس. فلا حول ولا قوة له إلا بالله:

[وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً]،[سورة النساء: 173].

وفي يوم الحساب تؤكد الآية: [وَكُلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً]،[سورة مريم: 95]. فهم سيكونون وحدهم أمام الله. ولن يكون إلى جانبهم في ذلك اليوم أصدقاؤهم أو أقرباؤهم الذين نسوا يوم الحساب وما بعده. وبالتأكيد فإن الشيطان الذي لحقوا به طوعاً سيتخلى عنهم:

[لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً]، [سورة الفرقان: 29].

[وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ]، [سورة الأنعام: 94].

ص 103

إن من لديه مساراً صادقاً يستطيع إدراك هذه الحقائق بسهولة. وتنبيهات القرآن واضحة تماماً. فهذه الحقيقة لا تتغير أبداً سواءً أكنت وسط جمع من الناس أم في السينما أم في اجتماع أم في شارع حاشد أم بين أصدقائك المقربين. إنك في الحقيقة وحيد. إن وضعية أولئك الذين لا يستطيعون فهم هذه الحقيقة بسبب تحاملهم توضحها الآية التالية:

[..ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ]، [سورة الحشر: 9].

إن من يضع هواه جانباً ويتأمل هذه الحقائق هم المؤمنون الذين يفكرون ويخشون الله ويستعدون حق الاستعداد:

[أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ]، [سورة الزمر: 9].

[أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ]،[سورة الزمر:19]. وأنت أيضاً يجب أن تخضع لله تعالى وتطيعه، واحذر أن تكون من قال فيه الله تعالى: [فَهُوَ أَعْمَى].

المراجع:

ص 126

1- أدُرهان هانسر ليوجلو (تاريخ الفكرة)، استنبول 1987، ص 432

2- أدُرهان هانسر ليوجلو (تاريخ الفكرة)، استنبول 1987، ص 447

3- فريدريك فيستر Denken, lernen, vergessen, viga 1978 ص 6

4- جورج بوليتزر: المبادئ الأساسية للفلسفة، باريس 1954، ص 38-44-39

5- مجلة العلوم والتكنولوجيا العدد 227 ص 6-7

6- ر.ل. غريفوري، العين والدماغ: علم نفس الرؤية، مطبوعات جامعة أوكسفورد 1990 ص 9

7- جورج بيركلي، «بحث خاص في مبادئ المعرفة الإنسانية» الجزء الأول 1871

8- لينكولن بارنيت، «الكون والدكتور إينشتاين»، نيويورك 1948. ص 20

9- براتراندراسل «آبجدية النسبية»، لندن 1964 ص 161 . 162

10- جورج بيركلي «بحث خاص في مبادىء المعرفة الإنسانية». الجزء الأول، أوكسفورد 1871، ص 35-36

11- علي ديميرسوي «الوارثة والتطور» ص4

12- برتراند راسل، «ما هي الروح؟» الجزء الأول، 1871

13- برتراند راسل، ثلاثة محاورات بين هيلاس وفيلوناس، أعمال جورج بركلي، الجزء الأول 1871

14- جورج بولتيزر، المباديء الأساسية للفلسفة، باريس 1954، ص 40

15- مجلة العلوم والتكنولوجيا، العدد 111 ص 20

16- ر.ل.غريفوري، العين والدماغ: علم نفس الرؤية، مطبوعات جامعة أوكسفورد 1999 ص 9

17- كين ويلبر، نماذج خطية ومفارقات أخرى، ص 20

18- برتراند راسل «أبجدية النسبية» جورج ألين و أنوين، لندن 1964، ص 161 162

19- هنري برجسون «المادة والذاكرة» نيويورك 1991

20- ديفيد هيوم «بحث حول الطبيعة البشرية» الكتاب الأول، الفقرة ص IV في الهوية الشخصية.

21- الإمام رباني «رسائل رباني» الجزءΠ، الرسالة 357، ص 163.

22- الإمام رباني «رسائل رباني» الجزءΠ، الرسالة 470 ص 1432

23- فرانسوا جيكوب «لعبة الاحتمالات» 1982، ص 111

24- لينكولن بارنيت «الكون والدكتور إينشتاين» 1948، ص 52-53

ص 127

25- لينكولن بارنيت «الكون والدكتور إينشتاين» 1948 ص 17

26- لينكولن بارنيت «الكون والدكتور إينشتاين» ص 58

27- بول ستراثرن، «الفكرة الكبيرة: إينشتاين والنسبية» 1997، ص 57

28- إيزاك أسيموف «الحدود».

29- لينكولن بارنيت ، «الكون والدكتور إينشتاين» 1948، ص 84

30- هيوروس «بصمة الله» ص 50

31- سيدني فوكس وكلاوس دوس «التطور الجزيئي وأصل الحياة» 1977، ص2

32- الكسندر أوبارين «أصل الحياة» 1936 (طبعة 1953) ص 196

33- «دليل جديد عن تطور الغلاف الجوي والحياة» نشرة الجمعية الأمريكية للأرصاد الجوية الجزء 53، تشرين الثاني 1982 ص 1328 - 1330

34- ستانلي ميللر، التطور الجزيئي للحياة: الوضع الراهن لتركيب الجزيئات الصغيرة لما قبل الحياة، 1986، ص 70

35- جيفري بادا، الأرض، شباط 1988، ص 40

36- ليزلي أورجيل «أصل الحياة على الأرض». المجلة العلمية الأمريكية، الجزء 271، 1994، ص 78

37- تشارلز داروين، «أصل الأنواع»، 1964، ص 1890

38- تشارلز داروين، «أصل الأنواع»، 1964، ص 1840

39- ب جـ رانجاناثان الأصول؟ 1988

40- تشاركز داروين «أصل الأنواع» 1964 ص 179

41- ديريك إيجر «طبيعة سجل المستحاثات»، محاضر جلسات الجمعية الجيولوجية البريطانية الجزء 87، 1976، ص 133

42- دوغلوس فوتوياما، محاكمة العلوم، 1983، ص 197

43- سولي زوكرمان، ما وراء البرج العاجي 1970، ص 75 - 94

تشارلز أوكسنارد «مكانة قرد جنوب أفريقيا في تطور الإنسان: مجال للشك» الجزء الأول 258، ص 389

44- جـ ريني «كلب داروين (البلدغ) الحالي»: المجلة الأمريكية، كانون الأول 1992

45- آلان ووكر، العلوم، الجزء 207، 1980، ص 1103
كيلسو، الأصل الفيزيائي للإنسان، 1970، ص 221
46- مجلة تايم، تشرين الثاني 1996
47- جولد، التاريخ الطبيعي، الجزء 85، 1976، ص 30
48- سولي زوكرمان، ما وراء البرج العاجي، 1970، ص 19
49- ريتشارد ليفرنتين «عالم ملاحقة الأرواح»، 1997، ص 28

(صورة ص 17)

النماذج الآتية من شكل ما تتحول إلى إشارات كهربائية وتؤثر على الدماغ. عندما "نرى" فإننا في الواقع نرى تأثيرات هذه الإشارات الكهربائية على الدماغ.

(صورة ص 20)

الأشعة الآتية من شيء حسي تنقلب رأساً على عقب فوق الشبكية كما يظهر في الصورة أعلاه. تتحول الصورة هنا إلى إشارات كهربائية وتنتقل إلى مركز الرؤية في الجزء الخلفي من الدماغ. يشغل مركز الرؤية مكاناً صغيراً. وبما أن الدماغ معزول عن الضوء، فمن المستحيل أن يصل الضوء إلى مركز الرؤية. وهذا يعني أننا نرى عالماً واسعاً من الضوء والعمق في نقطة صغيرة معزولة عن الضوء. وحتى عندما نشعر بضوء النار وحرارتها فإن داخل دماغنا شديد السواد ولا تتغير درجة حرارته أبداً.

الصورة (ص 25)

إن كل ما نراه في حياتنا يتشكل في جزء من دماغنا يسمى "مركز البصر" الذي يقع في الجزء الخلفي من الدماغ، و يشغل بضع سنتمترات مكعبة، وتقع صورة الغرفة الصغيرة والمنظر الطبيعي اللامحدود الذي تراه عندما تحدق في الأفق ضمن هذا المجال الصغير.

ولهذا فإننا لا نرى الأشياء بحجمها الفعلي الموجودة فيه وإنما بالقياس الذي يدركه دماغنا.

صورة ص 27

إن نتائج الفيزياء الحديثة تظهر أن الكون هو عبارة عن مجموعة إدراكات. ويظهر السؤال التالي على غلاف المجلة العلمية الأمريكية المعروفة New Scientist التي عالجت هذا الموضوع في عددها الصادر بتاريخ 30 كانون الثاني 1999:

"ما وراء الحقيقة"، هل الكون عبارة عن حفلة مرح لمعلومات أولية وأن المادة ليست إلا سرابا.

صورة (ص 29)

نتيجة للتحفيز الصناعي، فإن العالم الفيزيائي هو عالم حقيقي وواقعي كالعالم الأصلي الذي يمكن أن يتشكل في عقلنا بدون وجود العالم الفيزيائي. ونتيجة للتحفيز المصطنع فإن الفرد يمكنه التخيل بأنه يطير بطائرة بينما هو جالس في منزله.

صورة (ص 34)

الدماغ هو عبارة عن مجموعة من الخلايا المؤلفة من البروتين والجزئيات الدهنية. ويتشكل من خلايا عصبية تسمى العصبونات (إلى اليسار). وهذه العصبونات لا تشكل الوعي حتماً. عندما نفحص تركيب العصبونات نرى ذرات (إلى اليمين). لا توجد في هذه القطعة من اللحم طاقة تستطيع رؤية الصور أو تشكل الوعي أو تخلق الكائن الذي ندعوه "أنا".

صورة: ص 40

إذا تأمل أحدنا بعمق ما تعبر عنه الصورة فإنه سيدرك فوراً الوضع المدهش بنفسه، فكل الأحداث في العالم هي مجرد تصور..

الصورة: ص 46

الحقيقة بالنسبة إليك هي ما يمكن لمسه باليد ورؤيته بالعين. وتستطيع أيضاً من خلال أحلامك أن "تلمس وترى بعينك"، ولكن في الحقيقة، فإنه ليس لديك يد ولا عين، ولا أي شيء يمكن لمسه أو رؤيته. ليس هناك حقيقة مادية لكي تحصل هذه الأشياء ماعدا دماغك. وببساطة فأنت قد ضُللت.

ماهو الشيء الذي يفصل الحياة الحقيقية والأحلام عن بعضهما البعض؟ بصورة أساسية فإن كلا النوعين من الحياة يصلان إلى الكائن من خلال الدماغ. وإذا كنا قادرين على العيش بسهولة في عالم غير حقيقي من خلال أحلامنا، فإن الشيء نفسه يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة إلى العالم الذي نعيشه ونحن مستيقظون. فعندما نستيقظ من حلم فليس هناك من سبب منطقي لكي لا نفكر أننا دخلنا حلماً أطول اسمه "الحياة الحقيقية".

والسبب الذي يدعونا لاعتبار حلمنا هلوسة والعالم "حقيقي" هو فقط نتيجة عاداتنا وحكمنا المسبق. وهذا يشير إلى أنه يمكن أن نكون قد استيقظنا تماماً من الحياة على الأرض، التي نعتقد بأننا نعيشها الآن، كما استيقظنا من الحلم.

الصورة ص 57

إن الزمن هو إدراك حسي. ويمكن إدراكه بصورة مختلفة لدى أشخاص مختلفين وفي ظروف مختلفة.

(صورة ص 58)

[وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ] [سورة الحج: 47].

(صورة ص 63)

الزمن هو مفهوم يعتمد كلياً على الشخص المدرك.

إن فترة من الزمن يمكن أن تبدو طويلة لشخص ما، بينما تبدو قصيرة لشخص آخر. ولكي نفهم من على حق نحتاج لوسائل مختلفة كالساعة والتقويم، وبدونهما من المستحيل إجراء تقدير دقيق عن الزمن.

(صورة ص 64)

[إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمْ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [سورة النحل: 104].

الصورة ص 69

كل لحظة تتعلق بانهيار هذه الأبنية هي في علم الله تعالى.

ص 72 (جزء من الصورة)

بالنسبة إلى الشخص الذي يعبر الشارع من جانب إلى آخر، هناك مسافة يجب أن يقطعها. فالشخص الذي ينظر إلى الشارع نظرة عامة، لا يشعر بأية صعوبة في رؤية كل نقطة من هذا الشارع من كلا الجانبين.

تتمة الصورة 73

الصور ص 74

تبين الصورة أعلاه لحظة بلحظة السيارة التي تعبر الجسر. ويفترض الشخص، المسافر بهذه السيارة، أن فترة محددة من الزمن قد مضت لعبور الجسر.

بينما نحن نستطيع أن نشاهد الصور في لحظة واحدة.

الصورة ص 75

إن كل حادثة وكل لحظة في الزمن المطلق، موجودة في وقت واحد في كل مكان، وسوف تستمر في الوجود إلى الأبد. فلم تختف أي من اللحظات أو الأحداث أو الكائنات الحية التي وجدت في الماضي، ولن تختفي أبداً. النبي نوح عليه السلام يبني سفينته تماماً في هذه اللحظة. والطوفان زمن نوح يأخذ مجراه أيضاً الآن؛ كل شيء وكل لحظة تتعلق بالطوفان تأخذ مجراها، وأنت تقرأ هذه السطور. وهذه بالتأكيد ليست حوادث الماضي، إن هذه الأحداث الجارية وكذلك الأحداث التي ذكرت من قبل كلها تحدث في الوقت نفسه، باعتبار أن كلاً منها قدر لها البقاء في علم الله إلى الأبد.

ص 77

إن جميع مراحل التغيير التي أدخلت على هذه الأماكن بالإضافة إلى وضعها في الوقت الراهن موجودة في علم الله تعالى. وكل شيء عاش في هذه الأماكن، وكل ما فعله الإنسان من أشياء فيها هو "الآن" محفوظ في علم الله عز وجل.

ص 79

إن الإنسان الموجود في الصورة قد خلق "الآن"، إنه يصطاد، إنه يتسلم شهادته، ويتزوج، وأيضاً يصبح لديه أولاد وأحفاد، كل ذلك "في هذه اللحظة". وأكثر من ذلك فهو يموت الآن، وكذلك يحاسب من قبل الله تعالى.

الصورة ص 84

إن كل لحظة لدى الشخص الذي كان لديه حيوانٌ أليفٌ خلال طفولته تبقى في علم الله. اللحظة التي لعب معه واللحظة التي داعبه فيها، واللحظة التي مات فيها بحادث، وباختصار كل لحظة سواء تذكرها أم لم يتذكرها.

الصورة ص 85

إن الفراشات والأزهار، وجميع التفاصيل التي تراها في الحديقة والتي تمر بها هي موجودة في علم الله.

الصورة ص 88

التطورات المتتالية التي تحدث في الزهرة مع أنها تبدو وكأنها تحدث في أوقات متفاوتة، هي في الحقيقة تحدث في وقت واحد معاً، فإن الصور الموجودة في ذاكرة الشخص، الذي يرى هذه الزهرة، تختفي. ومع ذلك فإن كل لحظة تبقى في ذاكرة الله الأبدية.

تتمة الصورة ص: 88- 89

الصورة ص: 90

إن مفهوم الزمن يصلح للإنسان فقط. فذاكرة الله فوق كل الأزمنة. فكل أزهار البنفسج عبر التاريخ، تزهر الآن تماماً كما تذبل الآن. والشيء ذاته ينطبق على البنفسج الذي ينمو في أصيصك.

الصورة ص: 91

كل مرحلة من تشكل الندى هي في علم الله. فالله مطّلع على جميع أنواع المخلوقات.

الصورة ص: 92

كل التفاصيل مثل: ماذا سيحدث عندما تقطع هذه الأشجار، ومن سيقطعها والبيت الذي ستستخدم في بنائه، كل ذلك قد تقرر سلفاً في علم الله تعالى.

الصورة ص 93

كل ثانية في حياة برتقالة محفوظة في ذاكرة الله إلى الأبد.

الصورة ص: 94

تجري المياه في كل أنحاء الأرض أيضاً في لحظة واحدة. وحتى قطرة الماء الواحدة لا تختفي، إنها محفوظة في علم الله إلى الأبد.

الصورة ص: 95

الحالة التي وجدت عليها هذه المناطق قبل 1000 أو قبل 500 سنة، والفترة التي أعقبت ذلك وشيدت عليها المباني، توجد في الأصل في لحظة واحدة بالرغم من أنه يبدو ظاهريا أن هناك مسافات زمنية تفصل بينها.

الصورة ص: 97

[وَلَقَد اسْتُهْزِئَ بِرُسُل مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَاب!] [سورة الرعد: 32]

الصورة ص 106

تشارلز داروين

الصورة ص 108

لقد نفى لويس باستور من خلال تجارب الادعاء القائل "أن المواد غير الحية يمكن أن تنتج الحياة"، وهي التي تشكل أرضية نظرية التطور.

الصورة ص 108

انتهت محادثات الكسندر أوبارين، لإعطاء تفسير للمؤمنين بنظرية التطور عن أصل الحياة، بالفشل الذريع.

الصورة ص 109

إن أصل الحياة، كما يراه أصحاب نظرية التطور الحديثين، لايزال عائقاً كبيراً بالنسبة إلى نظرية التطور.

الصورة ص 111

أحد الحقائق التي تلغي نظرية التطور هي تركيب الحياة المعقد الذي يصعب تخيله. إن نواة D N A الموجودة في خلايا الكائن الحي تعتبر مثالا على ذلك. إن D N A هو نوع من بنك المعلومات مؤلف من ترتيب أربع أنواع مختلفة من النواة بتسلسل مختلف. ويضم بنك المعلومات هذا رموز كل السمات الفيزيائية لهذا الكائن الحي. وإذا كتبنا عن D N A للكائن الحي، فالنتيجة

ستكون موسوعة مؤلفة من 900 مجلد. ولا ريب بأن هذه المعلومات غير العادية تدحض بالتأكيد مفهوم المصادفة.

الصورة ص 112

لقد حاول أنصار نظرية التطور، منذ بداية القرن، إنتاج تغيير وراثي في ذبابة الفاكهة لتكون مثالاً للتغيير الوراثي المفيد. ولكن النتيجة الوحيدة التي توصلوا إليها نتيجة جهودهم هذه التي استمرت عقوداً كانت ذبابات مشوهة ومريضة ومتخلفة. وترى في الصورة، رأساً طبيعياً لذبابة فاكهة، ومن جهة اليمين ذبابة فاكهة عدلت مورثاتها.

الصورة ص 113

تدعي نظرية التطور بأن الأنواع الحية قد تطورت بالتدريج من بعضها البعض. لكن سجل المستحاثات يدحض هذا الادعاء. فمثلاً قبل 550 مليون سنة، في العصر الكامبيري، ظهرت عشرات من الأنواع الحية المعروفة فجأة. وهذه الكائنات الموجودة في الصورة أعلاه ذات تركيب معقد للغاية. وهذه الحقيقة التي عبر عنها بـ "الانفجار الكامبيري" في الأدبيات العلمية هي دليل واضح على الخلق.

الصورة ص 115

يشكل سجل المستحاثات عائقاً كبيراً أمام نظرية التطور. ويبين سجل المستحاثات أن الأنواع الحية قد نشأت فجأة وبشكل متكامل دون وجود مرحلة تطور انتقالية فيما بينها. وهذه الحقيقة هي دليل على أن الأنواع قد خلقت بصورة منفصلة.

الصورة ص 117

لا يوجد بقايا للمستحاثات التي تدعم قصة التطور البشري. بل على العكس فإن سجل المستحاثات يدل على وجود حاجز لا يمكن تجاوزه بين القردة والإنسان. وأمام هذه الحقيقة ركز أنصار نظرية التطور آمالهم على بعض الرسوم والنماذج. فقد وضعوا أقنعة بصورة عشوائية على بقايا المستحاثات،

وصنعوا وجوهاً نصفها قرد والنصف الآخر إنسان.